

مقصد الطالبين
في أجوبة
متن الصراط المستقيم
جمع
الشيخ نبيل الشريف الأزهري
شركة دار المشاريع

مقصد الطالبين

في أجوبة متن الصراط

الطبعة الثالثة

1445 هـ ـ 2024 ر



بيروت ـ لبنان

العنوان: المزرعة، بربور،
شارع ابن خلدون، بناية الإخلاص
تلفون وفاكس: 311 304 (961 1) 00
صندوق بريد: 5283 ـ 14 بيروت ـ
لبنان




ISBN 978-9953-20-099-6

email: dar.nashr@gmail.com
www.dmcpublisher.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين، وعلى ءاله وأصحابه الطيبين.

وبعد: فإن العلم بالله تعالى وصفاته أجلّ العلوم وأعلاها وأوجبها وأولاها ويسمى علم الأصول وعلم التوحيد وعلم العقيدة، قال تعالى ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ١٩﴾ [سورة محمد]، ويسمى هذا العلم أيضًا مع أدلته العقلية والنقلية من الكتاب والسنة علم الكلام.

وقد اهتم العلماء الأفاضل بهذا العلم اهتمامًا كبيرًا، قال المحدث الفقيه الأصولي الزركشي في تشنيف المسامع: «إن الأئمة انتدبوا للرد على أهل البدع والضلال، وقد صنَّف الشافعي كتاب «القياس» رد فيه على من قال بقِدم العالم من الملحدين، وكتاب «الرد على البراهمة» وغير ذلك، وأبو حنيفة كتاب «الفقه الأكبر»، وكتاب «العالم والمتعلم» رد

فيه على المخالفين، وكذلك مالك سئل عن مسائل هذا العلم فأجاب عنها بالطريق القويم، وكذلك الإمام أحمد» اهـ.

ومن جملة المعتنين بهذا العلم تأليفًا وتدريسًا الإمام المحدث الفقيه الشيخ عبد الله الهرري المعروف بالحبشي فألف عدة كتب منها كتاب «الصراط المستقيم» وقد أقبل عليه طلبة العلم من المشرق إلى المغرب لذا ولأهمية هذا الكتاب قمنا بترتيبه على شكل أسئلة وأجوبة ليسهل على طالب العلم الانتفاع به، وقد لقي كتاب الصراط المستقيم إقبالا بالغًا من أهل العلم والمعرفة، وخصوصًا من طلبة العلم الشرعي وطبع إحدى عشرة مرة، فلذلك يسرنا أن نقدم هذا الكتاب سائلين المولى عزَّ وجلَّ أن ينفع به إنه على كل شيء قدير.

بابُ العقيدةِ

ويتضمنُ خمسة عشر سؤالا

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله والصلاةُ والسلامُ على رسولِ الله.

[١] س: اذكرْ ما يدلُّ على محاسبةِ العبدِ نَفْسَه.

ج: قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الحشر].

وقالَ عليٌّ رضي الله عنهُ وكَرَّمَ وجهَهُ: «اليومَ العَملُ وغدًا الحسابُ»، رواهُ البُخاريُّ في كتابِ الرِّقاق.

[٢] س: اذكرْ أعظمَ حقوقِ الله على عبادِهِ.

ج: اعلم أنَّ أعظمَ حقوقِ الله تعالى على عبادِهِ هوَ توحيدُه تعالى وأن لا يُشرَكَ به شيءٌ لأنَّ الإشراكَ بالله هوَ أَكبرُ ذنبٍ يقترِفُه العبدُ وهوَ الذَّنبُ الذي لا يغفرُه الله ويَغفِرُ مَا دُونَ ذلِكَ لمن يَشاءُ قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة النساء].

وكذلكَ جميعُ أنواعِ الكُفرِ لا يَغفرُها الله لقولِه تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة محمد].

[٣] س: ما هو أقلُّ شيءٍ تحصلُ به النجاةُ من الخلودِ الأبدي في النار؟

ج: قال رسول الله ﷺ: «من شهِدَ أَنْ لا إلٰه إلا الله وحدَهُ لا شريكَ لهُ وأنّ محمدًا عبدُه ورسولُه وأنَّ عيسى عبدُ الله ورسولُه وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منه والجنةَ حقٌّ والنارَ حقٌّ أدخَلَهُ الله الجنةَ على ما كانَ منَ العملِ»، رواه البخاري ومسلم، وفي حديثٍ ءاخَر: «فإنَّ الله حرَّمَ على النار من قالَ لا إلٰهَ إلا الله يبتغي بذلكَ وجهَ الله» رواه البخاري.

ويجبُ قرنُ الإيمانِ برسالةِ محمدٍ بشهادةِ أن لا إلٰهَ إلا الله وذلك أقلُّ شيءٍ يحصلُ به النجاةُ من الخلودِ الأبديّ في النارِ.

[٤] س: ما معنى شهادةِ أن لا إلٰه إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله؟

ج: فمعنَى شهادةِ أَنْ لا إلَهَ إلا الله إجمالا أي من غير تفصيل أعترفُ بلساني وأعتقدُ وأذعن بقلبي أَنَّ المعبودَ بحقّ هوَ الله تعالى فقط.

ومعنَى شهادةِ أنّ محمّدًا رسولُ الله أعترفُ بلساني وأُذعِنُ بقلبي أنَّ سيّدنا محمَّدًا ﷺ مرسَلٌ من عندِ الله إلى كافَّةِ العالمينَ من إنسٍ وجِنٍّ، صادقٌ في كلّ ما يبلّغُه عن الله تعالى لِيُؤمِنُوا بشَريعَتِه ويتَّبِعُوه.

[٥] س: ما المراد بالشهادتين؟

ج: المرادُ بالشّهادتينِ نفيُ الألوهيةِ عمَّا سوَى الله وإثباتُها لله تعالى فهو وحده يستحق العبادة معَ الإقرارِ برسالةِ سيدِنا محمدٍ ﷺ.

[٦] س: ما الدليلُ على كفرِ من لم يؤمن بمحمد ﷺ؟

ج: قال الله تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ۝١٣﴾ [سورة الفتح].

فهذه الآيةُ صريحةٌ في تكفيرِ من لم يؤمن بمحمدٍ ﷺ فمن نازعَ في هذا الموضوعِ يكونُ قد عاندَ القرءانَ ومن عاندَ القرءانَ كَفرَ.

وأجمعَ الفقهاءُ الإسلاميّونَ على تكفيرِ من دانَ بغيرِ الإسلامِ، وعلَى تكفيرِ من لم يكفِّرْهُ أو شَكَّ أو توقَّفَ كأن يقولَ أنا لا أقولُ إنَّه كافرٌ أو غيرُ كافر.

[٧] س: مَن كانَ كافرًا ماذا يلزمُهُ ليُسْلمَ ويُقبلَ عملُه الصالحُ؟

ج: واعلَم باستيقانٍ أنَّهُ لا يصحُّ الإيمانُ والإسلامُ ولا تُقبلُ الأعمالُ الصالحةُ بدونِ الشهادتينِ بلفظِ أشهدُ أن لا إلٰهَ إلا الله وأشهدُ أنّ محمَّدًا رسولُ الله أو ما في معناهما ولو بغَيرِ اللغةِ العربيةِ.

ويكفي لصحةِ الإسلامِ النطقُ مرَّةً في العُمُرِ ويبقى وجوبُها في كلّ صلاةٍ لصِحَّةِ الصَّلاةِ، هذا فيمن كانَ على غيرِ الإسلامِ ثمَّ أرادَ الدخولَ في الإسلامِ.

وأمَّا من نشَأَ على الإسلام وكانَ يعتقدُ الشَّهَادتينِ فلا يُشترط في حَقّه النُّطقُ بهما بل هو مسلمٌ لو لَم يَنطِق.

[٨] س: ما الدليلُ على لُزومِ قرنِ اعتقادِ أنّ محمدًا رسول الله بالإيمان بالله لصحتهِ؟

ج: اعتقادُ أن لا إلـهَ إلا الله فقط لا يكفي ما لَم يُقرن باعتقادِ أنَّ محمدًا رسولُ الله والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة آل عمران] أي لا يُحِبُّ الله من تولّى عن الإيمانِ بالله والرسولِ لكفرهم والمرادُ بطاعةِ الله والرسولِ في هذه الآيةِ الإيمانُ بهما.

فهذَا دليلٌ على أنَّ من لم يؤمن بالله ورسولِه محمدٍ ﷺ فهُوَ كافرٌ وأنَّ الله تَعالى لا يُحِبُّه لكُفرِه.

فمن قالَ إنَّ الله يحبُّ المؤمنينَ والكافرينَ لأنه خلقَ الجميعَ فقد كذَّبَ القرءانَ فيقالُ لَهُ الله خلقَ الجميعَ لكن لا يُحِبُّ الكُلَّ.

[٩] س: ما الدليل على أنه لا دينَ صحيح إلا الإسلام؟

ج: الدينُ الحقُّ عندَ الله الإسلامُ قالَ تعالى ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة آل عمران]، وقالَ تَعالى أيضًا ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ ﴿١٩﴾﴾ [سورة آل عمران].

فكُلُّ الأنبياءِ مسلمونَ فمن كانَ متَّبعًا لموسى ﷺ فهو مسلمٌ موسويٌّ، ومن كانَ متَّبعًا لعيسى ﷺ فهوَ مسلمٌ عيسويٌّ، ويَصحُّ أن يُقالَ لمن اتَّبعَ محمدًا ﷺ مسلمٌ محمديٌّ.

والإسلامُ هو الدّينُ الذي رضيَهُ الله لعبادهِ وأمرَنا باتّباعِهِ.

ولا يُسمَّى الله مسلمًا كما تلفظَ به بعضُ الجهالِ.

فقديمًا كان البشرُ جميعُهم على دينٍ واحدٍ هو الإسلامُ، وإنّما حدثَ الشركُ والكفرُ بالله تعالى بعد النبي إدريس.

[١٠] س: من هو أولُ رسولٍ أُرسلَ إلى الكفار يدعوهم إلى الإسلام؟

ج: نوحٌ أوّلُ نبيٍ أُرسِلَ إلى الكفارِ يدعو إلى عبادةِ الله الواحدِ الّذي لا شريكَ له، وقد حذَّرَ الله جميعَ الرُّسُلِ مِن بعدهِ منَ الشركِ.

وتحذير الرسل من الشرك المقصود به تحذير أممهم لأن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الشرك.

وقد قام سيدُنا محمد ﷺ بتجديدِ الدعوةِ إلى الإسلام بعد أنِ انقطعَ فيما بينَ الناسِ في الأرضِ مؤيَّدًا بالمعجزاتِ الدَّالَّةِ على نبوتِهِ.

[١١] س: ما هو المبدأ الإسلامي الجامع لجميع أهل الإسلام؟

ج: المبدأُ الإسلاميُّ الجامعُ لجميعِ أهلِ الإسلامِ من لَدُن ءادم إلى يوم القيامة عبادةُ الله وحدَه.

[١٢] س: ما حكمُ من يدعي الإسلام لفظًا وهو مناقضٌ له معنًى؟

ج: هناكَ طوائف عديدة كَذَّبت الإسلامَ معنًى ولو انتموا للإسلام بقولهم الشهادتين أشهدُ أن لا إلٰه إلا الله وأشهدُ أن محمدًا رسولُ الله وصلوا وصاموا لأنّهم ناقضوا الشهادتين باعتقادِ ما ينافيهما فإنّهم خرجوا من التوحيدِ بعبادتهم لغيرِ الله فهم كفَّارٌ ليسوا مسلمينَ كالذين يعتقدونَ ألوهيّةَ علي بن أبي طالبٍ أو الخَضِرِ أو الحاكمِ بأمرِ الله وغيرِهم أو بما في حكمِ ذلكَ منَ القولِ والفعلِ.

[١٣] س: ما حكمُ من يجحدُ الشهادتين؟

ج: حُكمُ من يجحدُ الشهادتين التكفيرُ قطعًا بلا شك ومأواه جهنّمُ خالدًا فيها أبدًا لا ينقطعُ في الآخرة عنه العذابُ إلى ما لا نهايةَ له وما هو بخارجٍ من النارِ قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٦٥﴾﴾ [سورة الأحزاب].

[١٤] س: مَن الذي لا يَخلدُ في نار جهنم؟

ج: مَن أدَّى أعظمَ حقوقِ الله بتوحيدِهِ تعالى أي ترك الإشراكِ به شيئًا وتصديق رسولِهِ ﷺ لا يخلدُ في نارِ جهنّم خلودًا أبديًّا وإن دخلَها بمعاصيه ومآله في النهايةِ على أيّ حالٍ كان الخروج من النّار ودخول الجنّةِ بعد أن يكون قد نالَ العقابَ الذي يستحقُّ إن لم يَعفُ الله عنه، قالَ رسولُ الله ﷺ: «يخرجُ من النّارِ من قالَ لا إلـه إلا الله وفي قلبهِ وزن ذَرّةٍ من إيمانٍ» رواه البخاريُّ.

[١٥] س: مَن الذي يدخلُ الجنةَ بلا عذابٍ؟

ج: الذي قامَ بتوحيدِهِ تعالى واجتنبَ معاصيه وقامَ بأوامره يدخل الجنّة بلا عذابٍ حيث النعيمُ المقيمُ الخالدُ بِدلالة الحديث القدسي الذي رواهُ أبو هريرة قالَ رسولُ الله ﷺ: **قال الله عزَّ وجلَّ: «أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سَمِعَت ولا خَطَرَ على قلبِ بشر»**. وقال أبو هريرة: «إقرءوا إن شئتم قوله تعالى ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [سورة السجدة] رواهُ البخاري في الصحيحِ.

بابُ الرِّدَّة

ويتضمنُ ستة وعشرين سؤالا

[١٦] س: اذكرْ علماءَ من المذاهبِ الأربعةِ قسَّموا الكفرَ إلى ثلاثة أقسام.

ج: اعلم يا أخي المسلم أن هناكَ اعتقاداتٍ وأفعالا وأقوالا تنقضُ الشهادتين وتوقِعُ في الكفرِ لأن الكفرَ ثلاثةُ أنواع: كفرٌ اعتقاديٌّ وكفرٌ فعليٌّ وكفرٌ لفظيٌّ وذلك باتفاقِ المذاهبِ الأربعة كالنووي وابن المُقري من الشافعيةِ وابن عابدين من الحنفيةِ والبُهُوتي من الحنابلةِ والشيخ محمد عِلَّيش من المالكيةِ وغيرِهم فلينظرها من شاءَ. وكذلك غيرُ علماءِ المذاهبِ الأربعةِ من المجتهدينَ الماضينَ كالأوزاعيّ فإنه كان مجتهدًا له مذهبٌ كان يُعْمَلُ به ثم انقرضَ أتباعُهُ.

[١٧] س: اذكرْ أمثلةً للكفرِ الاعتقادي.

ج: **الكفرُ الاعتقاديُّ**: مكانُهُ القلبُ كنفيِ صفةٍ من صفاتِ الله تعالى الواجبةِ له إجماعًا كوجودهِ وكونهِ قادرًا وكونهِ سميعًا بصيرًا أو اعتقادِ أنه نورٌ بمعنى الضوءِ أو أنه روحٌ.

قال الشيخُ عبدُ الغنيّ النابلسيّ: مَن اعتقدَ أن

الله ملأ السّمٰوات والأرضَ أو أنه جسمٌ قاعدٌ فوقَ العرشِ فهو كافرٌ وإن زعمَ أنه مسلمٌ.

[١٨] س: اذكرْ أمثلةً للكفر الفعلي.

ج: **الكفرُ الفعليُّ**: كإلقاءِ المصحفِ في القاذوراتِ قال ابنُ عابدينَ: ولو لم يقصد الاستخفافَ، لأن فعلَه يدلُّ على الاستخفافِ. أو أوراقِ العلومِ الشرعيةِ، أو أيِّ ورقةٍ عليها اسمٌ من أسماءِ الله تعالى معَ العلمِ بوجودِ الاسمِ فيها، ومن عَلَّقَ شِعَارَ الكفرِ على نفسِهِ من غير ضرورةٍ فإن كان بنيةِ التبرّكِ أو التّعظيمِ أو الاستحلالِ كان مُرتدًّا.

[١٩] س: اذكرْ أمثلةً للكفرِ القولي.

ج: **الكفرُ القوليُّ**: كمن يشتم الله تعالى بقوله والعياذُ بالله من الكفر: أختَ ربك، أو ابنَ الله، يقعُ الكفر هنا ولو لم يعتقد أن لله أختًا أو ابنًا.

ولو نادى مسلمٌ مسلمًا ءاخرَ بقوله: يا كافرُ بلا تأويلٍ كفرَ القائلُ لأنه سمَّى الإسلامَ كفرًا، ويكفرُ من يقولُ للمسلمِ يا يهوديُّ أو أمثالها منَ

العباراتِ بنيّةِ أنّه ليسَ بمسلمٍ إلا إذا قَصَدَ أنّه يشبهُ اليهودَ فلا يكفُر.

ولو قالَ شخصٌ لزوجتِهِ (أنتِ أحبُّ إليَّ من الله) أو (أعبدُك) كفرَ إن كان يَفهم منها العبادةَ التي هي خاصّةٌ لله تعالى.

ولو قالَ شخصٌ لآخرَ (الله يظلِمك كما ظلمتني) كفرَ القائلُ لأنه نسبَ الظلمَ إلى الله تعالى، إلا إذا كانَ يفهَمُ أن معنى يظلمُك ينتقمُ منكَ فلا نكفّره بل ننهاهُ.

ولو قالَ شخصٌ لشخصٍ ءاخر والعياذُ بالله (يلعن ربّك) كفرَ.

وكذلك يَكفرُ من يقولُ والعياذ بالله (فلان زاح ربّي) لأن هذا فيه نسبةُ الحركةِ والمكانِ لله.

وكذلك يكفرُ من نسبَ إلى الله جارحةً من الجوارح كقول بعض السفهاءِ (يا زبّ الله) وهو لفظٌ صريحٌ في الكفر لا يُقبَلُ فيه التأويلُ.

وكذلك يكفرُ من يقولُ (أنا ربُّ من عَمِلَ كذا).

وكذلك يكفرُ من يقولُ والعياذ بالله: (خَوَتْ

ربّي)[1].

أو قال للكافر (الله يكرمُك) بقصدِ أن يحبَّهُ الله كفَر لأنّ الله تعالى لا يحبُّ الكافرين كما قال تعالى ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٣٢﴾ [سورة آل عمران].

وكذلكَ القولُ للكافرِ (الله يَغفر لك) إن قصدَ أن الله تعالى يغفرُ له وهو على كفرِهِ إلى الموتِ.

ويكفرُ من يستعملُ كلمةَ الخلقِ مضافةً للناسِ في الموضعِ الذي تكونُ فيه بمعنى الإبرازِ من العدمِ إلى الوجودِ كأن يقولَ شخصٌ ما: (أخلُق لي كذا كما خَلَقَكَ الله).

ويكفرُ من يشتِمُ عزرائيلَ عليه السلام كما قالَ ابنُ فَرحُونٍ المالكي في «تبصرةِ الحُكّام»، أو أيَّ ملَكٍ من الملائكةِ عليهم السلام.

وكذلكَ من يقولُ (أنا عايف الله) أي كرهتُ الله.

ويكفرُ من يقولُ: «يلعن سماء ربك»، لأنه استخفَّ بالله تعالى.

---

(١) أي جنَّن.

وكذلكَ من يُسمّي المعَابدَ الدينيةَ للكفارِ (بيوتَ اللهِ).

وكذلك من حدَّث حديثًا كذبًا وهو يَعلمُ أنه كذبٌ فقال: (الله شهيدٌ على ما أقولُ) لأنه نسب الجهل إلى الله تعالى.

ويكفرُ من يقولُ مُعَمِّمًا كلامَهُ: (الكلبُ أحسَنُ من بَني ءادم) لأنه تكذيب لقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ۝٧٠﴾ [سورة الإسراء].

وكذلك يكفر من يقول (العرب جرب) مع التعميم وبدون قرينة حال لأن كلامه هذا شمل الأنبياء وغيرهم.

وهناكَ بعضُ الشعراء والكتّابِ يكتبُ كلماتٍ كفريةً كما كتبَ أَحَدُهُم (هربَ الله) فهذا من سوءِ الأدبِ مع الله الموقع في الكفرِ وقد قال القاضي عِياض المالكي في كتابه الشّفا: «لا خلافَ أن سابَّ الله تعالى من المسلمينَ كافرٌ» اهـ.

وسوءُ الأدبِ مع الرسولِ ﷺ بالاستهزاءِ بحالٍ من أحوالِه أو بعملٍ من أعمالِه كفرٌ.

والاستهزاءُ بما كُتبَ فيه شيءٌ من القرءانِ

الكريمِ، أو الأنبياءِ عليهمُ السّلام، أو بشعائِر الإسلامِ أو بحكمٍ من أحكامِ الله تعالى كفرٌ قطعًا.

وكذلكَ استحسانُ الكفرِ من غيرِهِ كفرٌ لأنّ الرّضى بالكفرِ كفرٌ.

[٢٠] س: ما المرادُ بالبِيَعِ والصَّلَوات في قولِهِ تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الحج]؟

ج: المرادُ به معابدُ اليهودِ والنصَارى لمّا كانوا على الإسلام لأنّها كمساجد أمةِ محمدٍ حيثُ إنَّ الكلَّ بُني لتوحيد الله وتمجيدِه لا لعبادةِ غير الله فقد سمَّى الله المسجدَ الأقصى مسجدًا وهو ليسَ من بناءِ أمةِ محمدٍ. فليتَّقِ الله امرُؤٌ وليَحذر أن يسميَ ما بُنِيَ للشركِ بيوتَ الله ومن لم يتَّقِ الله قال ما شاء.

[٢١] س: ما حكمُ من نَقَلَ الكفرَ عن غيره؟

ج: لا يكفرُ من نقلَ (كتابةً أو قولا) عن غيرِهِ كفريّةً حصلت منه من غيرِ استحسانٍ لها بقولِه:

قالَ فلانٌ كذا، ولو أخَّرَ صيغةَ قالَ إلى ءاخر الجملةِ فيشترطُ أن يكونَ في نيتهِ ذكر أداةِ الحكايةِ مؤخرة عن الابتداءِ.

[٢٢] س: اذكرْ أربعَ حالاتٍ مستثناة من الكفرِ اللفظي.

ج: يُستثنَى من الكفرِ اللفظي:

* حالةُ سبقِ اللسانِ: أي أن يتكلمَ بشىءٍ من ذلكَ من غيرِ إرادةٍ بَل جَرى على لسانِه ولم يقصدْ أن يقولَه بالمَرَّةِ.

* وحالةُ غيبوبةِ العَقل: أي عَدَمِ صَحو العقلِ وذلك لارتفاعِ التكليفِ عنه حينذاك.

* وحالةُ الإكراه: فمن نطقَ بالكفرِ بلسانِه مُكرهًا بالقتل ونحوِه وقلبُه مطمئنٌّ بالإيمانِ فلا يكفرُ قال تعالى ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ ﴿١٠٦﴾﴾ الآية [سورة النحل].

* وحَالةُ الحكايةِ لكفرِ الغير: فلا يَكفر

الحاكي كُفْرَ غيره على غير وجه الرِّضى والاستحسانِ، ومستندُنا في استثناءِ مسئلةِ الحكايةِ قولُ الله تعالى ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة التوبة]، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة المائدة].

ثم الحكايةُ المانِعَةُ لكفرِ حاكي الكفرِ إمّا أن تكونَ في أوّلِ الكلمةِ التي يحكيها عمّن تكلم بكفرٍ، أو بعدَ ذكره الكلمةَ عقبَها وقد كان ناويًا أن يأتي بأداةِ الحكايةِ قبلَ أن يقولَ كلمة الكفرِ، فلو قال: المسيحُ ابنُ الله قولُ النصارى، أو قالته النصارى فهي حكاية مانعةٌ للكفرِ عن الحاكي.

[٢٣] س: اذكرْ من ذَكَرَ كفرَ الفلاسفةِ القائلين بأزلية العالم.

ج: أجمع المسلمونَ على تكفيرِ الفلاسفةِ القائلين بأزلية العالم كما ذكر ذلك المحدّثُ الفقيه الأصولي بدرُ الدينِ الزركشيُّ في شرح جمع الجوامع فإنه قال بعد أن ذكرَ الفريقينِ منهم

الفريقَ القائل بأزليةِ العالم بمادته وصورته والفريقَ القائلَ بأزلية العالم بمادتهِ أي بجنسهِ فقط ما نصّه: «اتّفقَ المسلمونَ على تَضليلِهم وتكفيرِهم».

[٢٤] س: اذكر القاعدةَ في اللفظِ الصريحِ والظاهر.

ج: **قاعدة:** اللفظُ الذي له مَعنيانِ أحدُهما نوعٌ من أنواع الكفرِ والآخر ليسَ كفرًا وكان المعنى الذي هو كفرٌ ظاهرًا لكن ليسَ صريحًا لا يُكفَّر قائلُه حتى يُعرَفَ منه أيّ المعنيينِ أرادَ، فإن قال أردتُ المعنى الكفريَّ حُكِم عليه بالكفرِ وأجري عليه أحكامُ الردّة وإلا فلا يُحكمُ عليه بالكفرِ؛ وكذلكَ إن كانَ اللفظُ له معانٍ كثيرةٌ وكان كلُّ معانيهِ كفرًا وكان معنًى واحدٌ منها غيرَ كُفر لا يكفّرُ إلا أن يُعرفَ منه إرادةُ المعنى الكفريّ وهذا هو الذي ذَكَرهُ بعضُ العلماء الحنفيّينَ في كتبهم.

[٢٥] س: اذكرْ بطلانَ قولِ من يقولُ إذا كانَ للكلمة تسعةٌ وتسعون قولا بالتكفير وقولٌ واحدٌ بتركه أُخذ بتركه.

ج: أما ما يقولُه بعضُ الناسِ من أنه إذا كان

للكلمةِ تسعةٌ وتسعون قولا بالتكفيرِ وقولٌ واحدٌ بتركِ التكفيرِ أُخِذ بتركِ التكفيرِ فلا معنى له، ولا يصحُّ نسبَةُ ذلك إلى مالكٍ ولا إلى أبي حنيفة كما نسب سيدُ سابق شبهَ ذلك إلى مالكٍ، وهو شائِعٌ على ألسنةِ بعض العصريّين فليتَّقُوا الله.

[٢٦] س: هَلْ تحصلُ معصيةٌ كبيرةٌ من الولي؟

ج: قد تحصلُ من الولي معصية كبيرة قبل موتهِ بقليلٍ لكن لا يموت إلا وقد تابَ كطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضي الله عنهما فإنهما خرجا على أميرِ المؤمنينَ علي رضي الله عنه بوقوفهِما مع الذينَ قاتلوهُ في البصرةِ فذكَّر عليٌّ كُلًّا منهما حديثًا، أمَّا الزبير فقال له: ألم يقُل لكَ رسولُ الله «**إنك لتقاتلَنَّ عليًا وأنت ظالمٌ له**» فقال نسيتُ، فذهبَ منصرفًا عن قتالهِ ثم لحقهُ في طريقهِ رجلٌ من جيشِ عليّ فقتَلَهُ، فتابَ الزبير بتذكير علي له فلم يَمُتْ إلا تائبًا. وأما طلحةُ فقال له عليّ: ألم يَقُلْ رسولُ الله ﷺ «**مَن كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاهُ**» فذهبَ منصرفًا فضربَهُ مروانُ

ابنُ الحَكَمِ فقتلَهُ. وهو أيضًا تابَ وندِمَ عند ذكرِ علي له هذا الحديث، فكلٌّ منهما ما ماتَ إلا تائبًا، وكِلَا الحديثينِ صحيحٌ بل الحديث الثانِي متواترٌ.

[٢٧] س: بيّن إثبات الإمام أبي الحسن الأشعري بعصيان طلحة والزبير وعائشة وماذا قال في مقاتلي علي من أهل وقعة الجمل ومن أهل صفين.

ج: ذكرَ الإمامُ أبو الحسنِ الأشعري أن طلحةَ والزبيرَ مغفورٌ لهما لأجلِ البشارةِ التي بشَّرَهما رسولُ الله بها مع ثمانيةٍ ءاخرين في مجلسٍ واحدٍ فهذا من الإمامِ أبي الحسنِ الأشعري إثباتٌ أنهما أَثِمَا. وكذلك قالَ في حق عائشةَ لأجلِ أنها مبشرةٌ أيضًا وكانت ندِمَتْ نَدمًا شديدًا مِن وقوفِها في المقاتلين لعلي حتى كانت لمَّا تذكُر سَيرَها إلى البصرةِ ووقوفَها مع المقاتلين لعلي تبكي بكاءً شديدًا يبتلُّ من دموعِها خمارها، وهذا متواترٌ أيضًا. وقال في غيرهِما من مقاتلي علي من أهل وقعة الجمَلِ ومن أهل صفينَ الذين قاتلوا مع

معاوية عليًّا «مجوَّز غفرانه والعفو عنه» كما نقل ذلك الإمامُ أبو بكر بنُ فورك عن أبي الحسن الأشعري في كتابهِ مجرد مقالات الأشعري، وابن فورك تلميذ تلميذ أبي الحسن الأشعري وهو أبو الحسن الباهلي رضي الله عنهم. وما يظنُّ بعضُ الجهَلة من أنَّ الوليَّ لا يقعُ في معصيةٍ فهو جهلٌ فظيعٌ فهؤلاء الثلاثةُ طلحةُ والزبيرُ وعائشة من أكابرِ الأولياءِ.

[٢٨] س: اذكرْ قولَ إمامِ الحرمينِ الجويني في حكم من نَطَقَ بكلمةِ الردة الصريحة وأنه لا يؤول اللفظَ الصريح في الكفر.

ج: قالَ إمامُ الحرمين الجُوينيُّ: «اتفقَ الأصوليونَ على أنّ من نطقَ بكلمةِ الرّدةِ - أي الكفر - وزعَمَ أنّه أضمرَ توريةً (أي أنه أراد به معنًى بعيدًا عن المعنى المتبادر من الكلمة) كُفِّرَ ظاهرًا وباطِنًا» وأقرّهم على ذلك، أي فلا ينفعهُ التأويلُ البعيدُ ولا يُقبل منه كالذي يقولُ: (يلعن رسول الله) ويقول قصدي برسولِ الله الصّواعق.

[٢٩] س: اذكر اسمَ فقيهٍ حنفيٍ عَدَّ أشياءَ كثيرةً من ألفاظِ الردة للتحذير.

ج: عَدَّ كثيرٌ من الفُقَهاءِ كالفَقيهِ الحنفيّ بَدْرِ الرَّشيدِ وهو قريبٌ من القرنِ الثامِنِ الهجريّ أشْياءَ كثيرةً فينبغي الاطّلاعُ عليها فإنَّ منْ لم يعرفِ الشرَّ يَقَع فيهِ فليُحْذَرْ.

[٣٠] س: اذكر بعض الأحاديث الدالة على أهمية حفظ اللسان.

ج: ثبتَ عنْ أحدِ الصحابةِ أنَّهُ أخَذَ لسَانَهُ وخاطبَه: «يا لِسَانُ قُلْ خيرًا تَغْنَمْ، واسْكُتْ عن شرّ تَسْلَم من قَبْلِ أن تندمَ، إنّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُ: «**أكثرُ خطايا ابنِ ءادَمَ منْ لسانِهِ**»، رواه الطبراني بإسنادٍ صحيحٍ من حديث عبدِ الله بنِ مسعودٍ، ومِنْ هذه الخطايا الكفرُ والكبائرُ.

وفي حديثٍ ءاخرَ للرسولِ ﷺ: «**إنّ العبدَ ليتكلّمُ بالكلِمَةِ ما يَتبيّنُ فيها**[1] **يهوي بِهَا في النَّارِ أَبْعَدَ مما بينَ المشْرِقِ والمَغْرِبِ**» رواه البخاريُّ

(١) معنى ما يتبيَّن فيها: لا يرى بها بأسًا.

ومسلمٌ من حديثِ أبي هريرة.

ومعنى الحديث أن الإنسان قد يتكلم بكلمة لا يرى أن فيها ذنبًا ولا يراها ضارة له يستوجبُ بها النزولَ إلى قعر جهنم كما تدل على ذلك رواية الترمذي من غير فرق بين أن يكون منشرح البال أو غير منشرح.

[٣١] س: ما حكمُ من أتى بإحدى أنواعِ الكفريات؟

ج: حكمُ من يأتي بإحدى أنواع الكُفريّاتِ هو أن تَحْبَطَ أَعْمالُهُ الصالحةُ وحسنَاتُه جميعُهَا، فلا تُحسَبُ له ذرّةٌ من حَسَنَةٍ كانَ سَبَقَ لَهُ أن عَملهَا من صَدقةٍ أو حَجّ أو صيام أو صَلاةٍ ونَحْوِهَا إنَّما تُحسَبُ له الحسناتُ الجديدَةُ التي يقومُ بها بَعْدَ تَجديد إيمانِه قال تعالى ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ ۝٥﴾ [سورة المائدة].

[٣٢] س: ما حكمُ قولِ الكافرِ أستغفرُ الله قبلَ التشهد؟

ج: إذَا قالَ من وقع في كفر أستغفرُ الله قبلَ

أنْ يُجدِّدَ إيمانَه بقولِه أشهدُ أن لا إلـٰه إلا الله وأشهدُ أن محمدًا رَسُولُ الله وهو على حالَتِهِ هَذِهِ فَلا يَزيدُهُ قولُه أستَغْفِرُ الله إلا إثْمًا وكُفْرًا لأنَّهُ يكذِّبُ قولَ الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة محمد]، وقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿١٦٩﴾﴾ [سورة النساء].

[٣٣] س: اذكر الحديثَ الدالَّ على أن الكافرَ لا يقولُ أستغفرُ الله حتى يُسْلم.

ج: روى ابن حبانَ عن عِمران بنِ الحُصَيْن: أتى رسولَ الله رجلٌ فقال يا محمدُ، عبدُ المطلب خيرٌ لقومِهِ منك كان يُطعمُهُم الكبدَ والسَّنام وأنت تَنحَرُهم فقال رسولُ الله ما شاء الله - معناه رد عليه -، فلما أرادَ أن ينصرفَ قالَ: ما أقولُ، قال: «قل اللهم قِني شرَّ نفسِي واعزِم لي على أرْشَدِ أمري» فانطلق الرجلُ ولم يكنْ أسلمَ ثم قال

لرسول الله إني أتيتُكَ فقلتُ علّمني فقلْتَ: «**قُل اللهم قني شرَّ نفسي واعزِمْ لي على أرْشَدِ أمري**» فما أقولُ الآن حينَ أسلَمْتُ قال: «**قل اللهمَّ قني شرَّ نفسي واعزِم لي على أرْشدِ أمري اللهمّ اغفر لي ما أسررتُ وما أعلنْتُ وما عَمَدتُ وما أخطأتُ وما جَهِلْتُ**».

[٣٤] س: ما حكمُ عَيشِ رجلٍ مرتدٍ مع امرأةٍ بصورةِ الزواج؟

ج: من أحكامِ الردةِ أن يَنفَسِخَ نكاحُ زوجتِهِ أي عقدُ الزواج الشرعي فتكونُ العلاقةُ بين الزوجين بعد كفرهِ علاقةً غيرَ شرعيةٍ فجماعُهُ لها زنى، ولا فرقَ بين أن يكفرَ الزوجُ وبين أن تكفُرَ الزوجة.

[٣٥] س: **مَا هُوَ كُفْرُ التشبيه؟**

ج: التشبيهُ: أي تشبيهُ الله بخلْقِهِ كمن يصفُه بالحدوثِ أو الفناءِ أو الجسمِ أو اللونِ أو الشكلِ أو الكمّية أي مِقدار الحَجْم، أما ما ورَد في الحديثِ «**إن الله جميلٌ**» فليس معناهُ جميلَ الشكلِ وإنّما معناهُ جميلُ الصّفاتِ أو محسنٌ.

[٣٦] س: ما هُوَ كفرُ التكذيب؟

ج: التكذيبُ: أي تكذيبُ ما وردَ في القرءانِ الكريم أو ما جاءَ به الرسولُ ﷺ على وجهٍ ثابتٍ وكان مما عُلِم من الدين بالضرورةِ كاعتقادِ فَنَاءِ الجنّةِ والنار، أو أن الجنةَ لذاتٌ غيرُ حسّيةٍ، وأنّ النارَ ءالامٌ معنويّةٌ، أو إنكارِ بعثِ الأجسادِ والأرواح معًا، أو إنكارِ وجوب الصلاةِ أو الصيامِ أو الزكاةِ، أو اعتقادِ تحريمِ الطّلاق أو تحليلِ الخمرِ وغيرِ ذلك ممّا ثبتَ بالقطعِ وظهرَ بين المسلمين.

وهذا بخلافِ من يَعتقدُ بوجوبِ الصلاةِ عليه مثلًا لكنه لا يصلي فإنه يكونُ عاصيًا لا كافرًا كمن يعتقدُ عَدمَ وجوبِها عليهِ.

[٣٧] س: ما هُوَ كفرُ التعطيل؟

ج: التعطيلُ: أي نفيُ وجودِ الله وهو أشدُّ الكفرِ.

[٣٨] ما حكمُ من يشبهُ الله بخلقه، وما السبيلُ إلى صرفِ التشبيه؟

ج: حكمُ من يُشبّهُ الله تعالى بخلقِهِ التكفيرُ قطعًا.

والسَّبيلُ إلى صَرفِ التَّشبيهِ اتباعُ هذِهِ القَاعِدَةِ القَاطِعَةِ وهي قول ذي النون المصري: «مَهْما تَصوَّرتَ ببالِكَ فَالله بخِلافِ ذَلِكَ» وَهِيَ مُجمَعٌ عَلَيها عِندَ أهلِ الحَقّ، وهي مَأخُوذَةٌ مِن قولِهِ تَعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۝١١﴾ [سورة الشورى].

ومُلاحَظَةُ مَا رُويَ عن الصّدّيقِ (شِعرٌ من البَسِيْط)

العَجْزُ عَنْ دَرَكِ الإدْرَاكِ إدْرَاكُ

والبَحثُ عنْ ذَاتِه كُفرٌ وإشراكُ[1]

وَقَولُ بَعْضِ العُلَمَاءِ: لا يَعْرفُ الله على الحقِيقَةِ إلا الله تعالى.

ومَعرِفتُنا نحنُ بالله تَعالى لَيْسَتْ عَلى سَبِيْلِ الإحَاطَةِ بلْ بمَعْرِفَةِ مَا يَجبُ لله تَعَالى كوُجُوبِ القِدَم لَهُ، وتَنْزيهِهِ عَمَّا يَستحيلُ علَيه تَعالى كاسْتِحالةِ الشّريكِ لهُ وما يجوزُ في حقّه تعالى كَخلْقِ شَىءٍ وتركِه.

---

(١) رواه الفقيه المحدّث بدر الدين الزركشي الشافعي.

قالَ الإمامُ الرفاعيُّ: «غايةُ المعْرفةِ باللهِ الإيقانُ بوجُودِهِ تعالى بلا كيفٍ ولا مَكانٍ».

[٣٩] س: اذكرْ كلامَ الغزالي في تنزيهِ الله تعالى.

ج: قَالَ الغَزَاليُّ في إحيَاءِ علوم الدِّين: إنَّهُ (أي الله) أَزَليٌّ لَيسَ لوجُودِه أوَّلٌ وليسَ لوجُودِهِ ءاخِرٌ. وإنَّه ليسَ بجَوهر يَتَحيَّزُ بَل يَتَعالى ويَتَقَدَّسُ عن مُنَاسَبَةِ الحوادِثِ، وإنَّه لَيسَ بِجِسم مُؤَلَّفٍ مِن جَواهِرَ، وَلَو جَازَ أنْ يُعتَقَدَ أنَّ صانِعَ العَالَم جِسمٌ لَجازَ أنْ تُعتَقَدَ الأُلوهيَّةُ للشَّمْسِ والقَمرِ أو لشَىءٍ ءاخرَ من أقسَامِ الأجسَام فإذًا لا يُشْبهُ شَيئًا ولا يُشبِهُه شىءٌ بل هوَ الحيُّ القيّومُ الذي ليس كَمثْلِهِ شَىءٌ وأنَّى يُشْبهُ المَخْلوقُ خالقَه والمُقَدَّرُ[1] مُقدّرَه والمصَوَّرُ مُصَوِّرَهُ.

[٤٠] س: ما هو الكلامُ الذي عابَه السَّلَفُ الصَّالحون؟

(١) الخلق المُقَدَّر أي له كمية هذا شكله مربّع وهذا شكله غير ذلك وهذا حارٌّ وهذا باردٌ.

ج: عابَ السلفُ كلامَ المُبتدِعَةِ في الاعتقادِ كالمشبهةِ والمعتزلةِ والخوارجِ والمرجئة وسائرِ الفرقِ التي شذت عما كان عليه الرسولُ والصحابةُ، الذين افترقوا إلى اثنتينِ وسبعينَ فرقة كما أخبرَ الرسولُ بذلك في حديثهِ الصحيحِ الثابتِ الذي رواه ابنُ حبانَ بإسنادهِ إلى معاوية قال: قال رسول الله ﷺ: **افترقت اليهود إحدى وسبعينَ فرقة وافترقت النصارى على اثنتينِ وسبعينَ فرقة وستفترقُ أمتي إلى ثلاث وسبعينَ فرقة كلُّهم في النارِ إلا واحدة وهي الجماعة** -- أي السواد الأعظم --. وأما علمُ الكلامِ الذي يشتغل به أهلُ السنةِ من الأشاعرةِ والماتريديةِ فقد عُمل به من قبل الأشعري والماتريدي كأبي حنيفةَ فإن له خمسَ رسائل في ذلك والإمام الشافعي كان يتقنهُ حتى إنه قال: «أتقنَّا ذاك قبل هذا» أي أتقنَّا علمَ الكلامِ قبل الفقهِ.

[٤١] س: **كيفَ نقي أنفسَنا وأهلينا مِنَ النار؟**

ج: قال الله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ

وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ [سورة التحريم]. وجَاءَ في تَفْسِيرِ الآيةِ أنَّ الله يَأْمُرُ المُؤمِنينَ أنْ يَقُوا أَنْفُسَهم وأهْلَهُم النَّارَ التي وَقُودُها الناسُ والحجارةُ بتَعلُّم الأمُور الدِّينيةِ، وتَعلِيم أهلِيهِم ذَلِكَ[1]، أي مَعْرِفَةِ ما فَرضَ الله فِعلَه أو اجتِنابَه أي الواجِبَاتِ والمُحرّماتِ وذَلِكَ كَي لا يَقَعَ في التَّشبيهِ والتَّمثِيلِ والكُفرِ والضَّلالِ.

ذَلِكَ لأَنَّهُ من يُشَبّهُ الله تعَالى بشَيءٍ ما لَمْ تَصِحَّ عِبَادَتُه لأنَّه يَعبدُ شيئًا تَخيّلَه وتَوهَّمَه في مخيّلَتِه وأوْهامِه، قال أبو حامد الغزاليُّ: «لا تَصِحُّ العِبَادَةُ إلا بَعْدَ مَعرِفَةِ المَعْبُودِ».

---

(١) جاءَ ذَلكَ عَنْ سَيدِنَا عَليّ بنِ أبي طَالِبٍ بإسْنَادٍ قَويّ.

بابُ مَا جَاءَ في بَدءِ الخلْقِ

ويتضمن تسعة أسئلة

[٤٢] س: اذكرْ ما جاءَ في الحديثِ عن بَدْءِ الخلق.

ج: قَالَ رسول الله ﷺ عِنْدَمَا سُئِلَ عَن بَدءِ الأمرِ: «**كَانَ الله وَلَم يَكُنْ شَيءٌ غَيْرُهُ وكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الماءِ، وكَتبَ فِي الذِّكْرِ كُلّ شَيءٍ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمٰواتِ والأَرْضَ**» رَوَاهُ البُخَارِيُّ. أَجَابَ الرّسولُ ﷺ علَى هَذا السُّؤالِ بأنَّ الله لا بدَايةَ لِوُجودِه (أي أزليٌّ) ولا أزليَّ سِوَاه، وَبِعبارَةٍ أُخْرَى فَفِي الأَزَلِ لَم يكُنْ إلا الله تعَالى، والله تعَالى خَالقُ كُلّ شَيءٍ أي مخرِجُه من العدم إلى الوجود.

[٤٣] س: ما معنى: «خَلَقَ كلَّ شيء»؟

ج: مَعنَى خلقَ كلَّ شَيءٍ أَنّه أخْرجَ جَميعَ الموجُوداتِ منَ العدَمِ إلى الوجُودِ، ولا يضاف الخلق بهذا المعنى إلا لله.

والله تعَالى حَيٌّ لا يَموتُ، لأَنَّهُ لا نهايَةَ لوجُودِهِ (أي أبديٌّ)، فلا يطْرأُ عليه العَدَمُ إذ لَوْ وُجِدَ بعدَ عَدَمٍ لاسْتَحالَ عَلَيهِ القِدَمُ (أي الأزليّةُ).

[٤٤] كيفَ تَردُّ على من يقولُ: الله خلقَ الخلق فَمَنْ خَلَقَ الله؟

ج: حكمُ مَن يَقُولُ: «الله خَلَقَ الخَلْقَ فَمن خَلَقَ الله» التكفِيْرُ قَطْعًا لأنَّه نَسَبَ إلى الله تَعالى العَدَمَ قبلَ الوُجودِ، ولا يُقالُ ذلكَ إلا في الحَوادِثِ أي المَخلُوقاتِ، فَالله تَعالى واجِب الوُجُودِ (أي لا يُتَصَوّرُ في العَقْلِ عَدَمُه)، فَلَيسَ وجودُه كوُجُودِنا الحَادثِ لأنَّ وجُودَنا بإيجادِهِ تَعَالى وكُلُّ ما سِوى الله جَائِزُ الوجودِ (أي يُمكِنُ عقلًا وجُودُه بَعْدَ عَدَمٍ وإعْدامُه بعدَ وجُودِه) بالنَّظَرِ لذَاتِه في حُكْمِ العَقْلِ.

[٤٥] س: ما هي أقسامُ الموجود؟

ج: أقْسَامُ المَوْجودِ ثَلاثَةٌ:

الأوَّلُ: أزليٌّ أَبدِيٌّ وهوَ الله تعالى وصفاته فقط أي لا بدايةَ ولا نِهايةَ لوجودِهِ.

وحكمُ من يقولُ إنَّ هناكَ شَيئًا أزليًّا سِوى الله التكفيرُ قَطعًا ولذلك كفرت الفَلاسِفَةُ باعتقادِهِمُ السَّفِيهِ أنَّ العالَم قَديمٌ أزَليٌّ لأنَّ الأزَلِيَّةَ لا تَصِحُّ إلا لله تَعالى وصفاته فقط.

والثَّانِي: أَبديٌّ لا أَزَليٌّ أي أنَّ لهُ بدايةً ولا

نِهايَةَ لهُ وهُو الجنّةُ والنارُ فَهما مَخلوقَتان أي لَهُما بدايةٌ إلا أنَّه لا نِهايَةَ لَهُما أي أبدِيَّتانِ فَلا يَطرأُ علَيهِما خَرابٌ أو فَناءٌ لِمشيْئَةِ الله بَقاءَهُما، أمَّا مِن حَيْثُ ذَاتُهما فَيجوزُ علَيْهِما الفَناءُ عَقْلًا.

والثّالثُ: لا أزَليٌّ ولا أبَدِيٌّ أي أنَّ لَهُ بِدايةً ولَه نِهايةً وهو كُلُّ مَا في هَذِهِ الدُّنيا مِنَ السَّمٰواتِ السَّبْعِ والأَرْضِ فَلا بدَّ مِن فَنائِهما وفَناءِ مَا فِيْهما مِنْ إنْسٍ وجِنّ ومَلائِكَةٍ.

[٤٦] ما هي أقسامُ الحكمِ العقلي؟

ج: الحُكْمُ العَقْليُّ يَنْقَسِمُ إلى ثَلاثَةٍ: الوُجُوبُ والاسْتِحَالةُ والجَوازُ، وقَالَ العُلَمَاءُ: الوَاجِبُ: مَا لا يُتَصَوَّرُ عدمُه وهو الله وصفاتُه.

والمُسْتَحِيلُ: مَا لا يُتَصَوَّرُ في العَقْلِ وجُودُهُ كالشريك لله تعالى والعجز والجهل بالنسبة إلى الله، وقَدْ يُعَبِّرُونَ عَنْهُ بالمُمْتَنِع.

والجائزُ: ما يُتَصورُ في العَقْلِ وجُودُه وعدَمُه وهو هذا العالَم ولذَلكَ يَصفونَ الله بالوَاجِبِ الوجود.

[٤٧] س: ما معنى قول أهل السنة والجماعة: «قِدَمُ الله ليس زمانيًّا»؟

ج: معنى هذه العبارة أن الله لا يجري عليه زمان، أي لا بداية لوجوده لأن الزمان حادث.

[٤٨] س: الله خالقُ كلّ شيء، فما هو العالمُ الكثيفُ وما هو العالمُ اللطيف؟

ج: الله تعالى كانَ قبلَ الزَّمانِ وقبلَ المكانِ، وقبلَ الظُّلُماتِ وقبلَ النُّورِ، فَهُو تَعالى لَيسَ مِنْ قَبِيلِ العَالَم الكَثِيْفِ كالأَرْضِ، والحَجَرِ، والكَواكِبِ، والنَّبَاتِ والإنْسَانِ، ولَيْسَ مِن قَبِيل العَالَم اللّطِيْفِ كالنُّورِ، والرُّوحِ، والهَواءِ، والجِنِّ، والمَلائِكَةِ لمخَالفتِه للحَوادِثِ أي لمخَالَفَتِهِ جَمِيعَ المَخلوقاتِ.

[٤٩] ما معنى اسمِ الله اللطيف؟

ج: مَعْنَى اللّطِيفِ الذي هُوَ اسمٌ لله: الرَّحِيمُ بعبادِهِ أو الذي احتَجبَ عَن الأَوْهَامِ فلا تُدْرِكُهُ.

[٥٠] ما الدليلُ على أنَّ الله لا مثيلَ له في خلقه؟

ج: لا نَظِيْرَ لَهُ تَعَالَى أي لا مَثِيْلَ لَه ولا شَبِيْهَ في ذاتِه ولا في صِفَاتِه ولا في فِعْلِه، لأَنَّهُ لَو كانَ مُمَاثِلًا لمخلُوقَاتِه بوجه من الوجُوه كالحجمِ والحركةِ والسكونِ ونحوِ ذلك لَم يكُنْ خَالِقًا لَها.

فَالله تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَن الاتّصَافِ بالحَوادِثِ، وكَذَلِكَ صِفَاتُ الله تَعَالَى هِيَ قَدِيْمَةٌ أي أزَلِيَّةٌ.

ولأَهَمّيَّةِ هَذا البَحْثِ قالَ الإمَامُ أبو حَنِيفَة: «مَنْ قالَ بِحدُوثِ صِفاتِ الله، أو شَكَّ، أوْ تَوَقَّفَ فهو كافرٌ»، ذَكَرهُ في كِتابِ الوَصِيَّةِ.

وقَالَ الطَّحَاويُّ: ومَن وصَفَ الله بمَعْنًى من مَعاني البَشَرِ فَقَد كَفَر.

وصفات البشر كثيرة منها الجلوس والاتصال والانفصال والحركة والسكون والانفعال والتنقل من علو إلى سُفل والتحيز في المكان والجهة وغيرُ ذلك.

تَنزيهُ اللّه عَن المَكَانِ

ويتضمن ستة وعشرين سؤالا

[٥١] س: ما الدليلُ على تنزيهِ الله عن المكان؟

ج: الله تعَالى غَنِيٌّ عن العَالمينَ أي مُسْتَغنٍ عَن كُلّ ما سِوَاهُ أَزَلا وأَبَدًا فَلا يَحْتَاجُ إلى مَكَانٍ يتحيز فيه أو شَىءٍ يَحُلُّ به أو إلى جِهَةٍ لأنه ليس كشىءٍ مِنَ الأشياء ليس حجمًا كثيفًا ولا حجمًا لطيفًا.

[٥٢] س: لماذا لا يجوزُ على الله التحيز؟

ج: التحيزُ من صفاتِ الجسمِ الكثيفِ واللطيفِ فالجسمُ الكثيفُ والجسمُ اللطيفُ متحيزٌ في جهةٍ ومكانٍ قال الله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الأنبياء] فأثبتَ الله تَعَالى لِكُلّ مِنَ الأربعَةِ التَّحَيّزَ في فلكِهِ وهوَ المَدَار، والله لا تَجوزُ عليهِ صِفَاتُ الخَلْقِ.

[٥٣] س: ما هو أوضح دليل من القرءان في تنزيه الله عن المكان والحيز والجهة؟

ج: يَكفِي في تَنزِيهِ الله عن المَكَانِ والحَيّزِ والجِهَةِ قَولُه تَعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَىۡءٞۖ ﴿١١﴾﴾

[سورة الشورى] لأنه لَو كَانَ لَه مَكانٌ لَكَانَ لَهُ أَمثَالٌ وأبعَادٌ طُولٌ وعَرْضٌ وعُمْقٌ، ومَنْ كَانَ كذَلِكَ كَانَ مُحْدَثًا مُحْتَاجًا لِمَنْ حَدَّهُ بِهَذَا الطُّولِ وبِهَذَا العَرْضِ وبِهَذَا العُمْقِ، هذَا الدليلُ منَ القُرءانِ.

[٥٤] س: ما الدليلُ من الحديثِ على تنزيهِ الله عن المكان؟

ج: أمَّا مِنَ الحَدِيثِ فما رَواه البُخَارِيُّ وابنُ الجارودِ والبَيْهقيُّ بالإسْنادِ الصَّحِيحِ أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «**كانَ الله ولَم يكن شَيءٌ غيرُهُ**»، ومَعناهُ أنَّ الله لم يَزَلْ مَوْجُودًا في الأَزَلِ لَيسَ مَعَهُ غيرُه لا مَاءٌ ولا هَواءٌ ولا أَرْضٌ ولا سَماءٌ ولا كُرْسيٌّ ولا عَرْشٌ ولا إنْسٌ ولا جِنٌّ ولا مَلائِكَةٌ ولا زَمَانٌ ولا مَكانٌ ولا جِهاتٌ، فَهُو تَعَالَى مَوجُودٌ قَبلَ المَكَانِ بِلا مَكَانٍ، وهُو الّذي خَلَقَ المَكَانَ فَلَيسَ بِحَاجَةٍ إلَيهِ، وهَذا ما يُسْتَفادُ منَ الحدِيثِ المَذْكُورِ.

وقالَ البيهقيُّ في كتابِه «الأسماءُ والصّفَاتُ»: «اسْتَدَلَّ بَعْضُ أصْحَابِنا في نَفْي المَكَانِ عَنْهُ بِقَولِ النَّبي ﷺ: «**أَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيسَ فَوقَكَ شَيءٌ وأَنْتَ**

البَاطِنُ فَلَيْسَ دُوْنَكَ شيءٌ»، وإذَا لَم يَكُن فوقَهُ شَيءٌ وَلا دُونَهُ شَيءٌ لَم يَكُن فِي مَكَانٍ» اهـ.

وهَذَا الحَدِيثُ فِيه الرّدُّ أَيضًا عَلى القَائِلينَ بالجِهَةِ في حَقّهِ تَعَالَى، وقَد قَالَ الإمام عليٌّ رضيَ الله عنه: «كانَ الله ولا مكانَ وهوَ الآنَ على ما عليْهِ كَانَ» رواهُ أبو منْصُورٍ البَغْدَادِيُّ.

[٥٥] س: ما هو محور الاعتقاد الصحيح؟

ج: لَيْسَ مِحْورُ الاعْتِقَادِ علَى الوَهْمِ بَل عَلَى ما يَقْتَضِيهِ العَقْلُ الصَّحِيحُ السَّلِيمُ الذي هُوَ شَاهِدٌ للشَّرعِ، وذَلِكَ أن المحدودَ محتاجٌ إلى من حدَّه بذلكَ الحدّ فلا يكُون إلٰهًا.

[٥٦] س: ما الدليلُ العقليُّ على تنزيهِ الله عن المكان؟

ج: كَمَا صَحَّ وجُودُ الله تَعَالَى بِلا مَكَانٍ وَجِهَةٍ قَبْلَ خَلْقِ الأَمَاكِنِ والجِهَاتِ فَكَذَلِكَ يَصِحُّ وجُودُهُ بَعْدَ خَلْقِ الأَمَاكِنِ بِلا مَكَانٍ وجِهَةٍ، وهَذَا لا يكونُ نَفيًا لِوجُودِهِ تَعَالى كما زعمت المشبّهةُ والوهابيّةُ وهم الدُّعاةُ إلى التّجسيمِ في هذا العصرِ.

[٥٧] س: ما حكمُ من يقولُ «الله تعالى في كلّ مكان»؟

ج: حُكْمُ مَن يَقُولُ: «إنَّ الله تَعالى في كُلّ مَكَانٍ أَو في جَمِيع الأَمَاكِنِ» التَّكْفِيْرُ إذَا كَانَ يَفهَم من هَذِهِ العِبَارَةِ أنَّ الله بذاتِهِ مُنْبَثٌّ أوْ حَالٌّ في الأَمَاكِنِ، أَمَّا إِذَا كَانَ يَفْهَمُ مِنْ هَذِهِ العِبَارَةِ أَنَّهُ تَعَالى مُسَيطِرٌ عَلَى كُلّ شَىءٍ وعَالِمٌ بكُلّ شَىءٍ فلا يكفُرُ، وهَذَا قَصْدُ كَثِيْرٍ مِمَّن يَلْهَجُ بِهَاتَيْن الكَلِمَتَينِ، ويَجِبُ النَّهْيُ عَنْهُمَا على كُلّ حَالٍ، لأنهما ليستا صادرتين عن السّلَف بل عن المعتزلة ثم استعملهما جهلَةُ العَوامّ.

[٥٨] س: ما تعريفُ المكان؟

ج: المَكَانُ هُوَ الفَرَاغُ الذي يَشْغَلُهُ الحَجْمُ، والحَجْمُ مَخْلُوقٌ فإذَنْ مُستَحِيلٌ أنْ يكونَ الله في مَكانٍ أو في جَميعِ الأماكنِ لأنهُ لَيْسَ حَجْمًا.

[٥٩] لماذا نرفعُ أيدينا إلى السماءِ في الدعاء؟

ج: ونَرفَعُ الأَيدِيَ في الدُّعاءِ للسَّماءِ لأَنَّها

مَهْبِطُ الرَّحمَاتِ والبَركاتِ ولَيْسَ لأَنَّ الله مَوجودٌ بِذَاتِهِ في السَّمَاءِ، كَما أَنّنَا نَسْتَقْبِلُ الكَعْبَةَ الشَّرِيْفَةَ في الصَّلاةِ لأَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَنَا بِذَلِكَ وَلَيْسَ لأَنَّ لَهَا مِيزَةً وخُصوصِيَّةً بسُكْنى الله فيها.

ويكْفُر من يَعتقدُ التّحيُّزَ لله تَعالى، أَوْ يَعتقِدُ أَنَّ الله شَيءٌ كالهَواءِ أَوْ كالنُّورِ يَملأُ مكَانًا أو غُرفةً أو مَسْجدًا ونسمّي المسَاجِدَ بُيوتَ الله لا لأَنَّ الله يَسكنُها بل لأَنَّها أَمَاكنُ مُعَدَّة لذكرِ الله وعبادتِهِ، ويقالُ في العرشِ إنه جرمٌ أعدَّه الله ليَطوفَ به الملائكةُ كما يطوف المؤمنونَ في الأرض بالكعبةِ.

وكَذلكَ يكفُر من يَقولُ: (الله يَسكنُ قلوبَ أوليائِه) إنْ كانَ يَفْهَمُ منه الحُلُولَ.

[٦٠] س: ما المقصودُ من معراجِ الرسولِ ﷺ؟

ج: لَيسَ المَقْصودُ بالمِعراجِ وصُولَ الرسولِ إلى مكانٍ يَنْتَهِي وجُودُ الله تَعالى إِلَيهِ ويَكْفُر مَن اعْتَقدَ ذلكَ، إِنّمَا القَصْدُ منَ المِعْراجِ هُو تَشْريفُ الرّسولِ ﷺ بإطْلاعِه علَى عَجَائِبَ في العَالَمِ العُلْوِيّ، وتَعظِيمُ مكَانتِه ورُؤْيتُه لِلذَّاتِ المُقَدَّسِ

بفُؤَادِه مِنْ غَيرِ أن يكُونَ الذَّاتُ في مكَانٍ وإنما المكانُ للرسولِ.

[٦١] س: ما معنى قوله تعالى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾؟

ج: أمَّا قولُه تعَالى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [سورة النجم] فَالمَقصُودُ بِهَذِهِ الآيةِ جِبْرِيلُ عَلَيْه السَّلامُ حَيْثُ رَءاهُ الرسول ﷺ بمكةَ بمكانٍ يقالُ له أجيادٌ وله سِتُّمائَةِ جَنَاح سادًّا عُظْمُ خَلْقِه مَا بَيْنَ الأُفُقِ، كَما رَءاهُ مَرّةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهى كَما قالَ تَعالى ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤﴾ [سورة النجم].

[٦٢] س: بَيِّنْ عِلَّة عدم صحة حديث الجارية.

ج: أمّا ما في مسلم من أن رجلًا جاءَ إلى رسولِ الله ﷺ فسألهُ عن جاريةٍ لهُ قال: قلتُ: يا رسولَ الله أفلا أعتِقُها، قال: **ائتني بها**، فأتاهُ بها فقالَ لها: **أينَ الله**، قالت: في السماءِ، قال: **من أنا**، قالت: أنتَ رسولُ الله، قال: **أعتِقْها فإنّها مؤمنةٌ**. فليسَ بصحيحٍ لأمرينِ: للاضطرابِ لأنّه

رُويَ بهذا اللفظ وبلفظِ: مَن رَبُّك، فقالت: الله، وبلفظ: أينَ الله، فأشارت إلى السّماءِ، وبلفظ: أتشهَدينَ أن لا إلـهَ إلا الله، قالت: نعم، قال: أتشهدينَ أنّي رسولُ الله، قالت: نعم.

والأمرُ الثَّاني: أن رواية «أين الله» مخالفةٌ للأصولِ لأنَّ من أصولِ الشريعةِ أن الشخصَ لا يُحكَمُ له بقولِ «الله في السماءِ» بالإسلامِ لأنَّ هذا القولَ مشتَركٌ بين اليهودِ والنّصارَى وغيرِهم وإنّما الأصلُ المعروفُ في شريعةِ الله ما جاءَ في الحديثِ المتواتر: «أمرتُ أن أقاتلَ النّاسَ حتّى يشهَدُوا أن لا إلـهَ إلا الله وأنّي رسولُ الله»(١).

ولفظُ روايةِ مالكٍ: أتشهدينَ، موافقٌ للأصول.

[٦٣] س: ما الجوابُ على مَنْ يعترضُ على تضعيفِ حديثِ الجاريةِ لكونِهِ في صحيحِ مسلم؟

ج: إن قيلَ: كيف تكونُ روايةُ مسلم: أينَ الله، فقالت: في السماءِ، إلى ءاخره مردودةً مع إخراج مسلمٍ لهُ في كتابهِ وكلُّ ما رواهُ مسلمٌ

---

(١) رواه خمسة عشر صحابيًّا.

موسومٌ بالصّحّةِ، فالجوابُ: أن عدَدًا من أحاديثِ مسلمٍ ردَّها علماءُ الحديثِ وذكرَها المحدّثونَ في كتبهم كحديث أن الرسولَ قال لرجُلٍ: **إنَّ أبي وأبَاكَ في النّار**، وحديث إنه يُعطى كل مسلم يومَ القيامَةِ فِداءً لهُ مِنَ اليهودِ والنصارَى، وكذلكَ حديث أنسٍ: صَليتُ خلفَ رسولِ الله وأبي بكرٍ وعمرَ فكانوا لا يذكرونَ بسم الله الرحمٰنِ الرحيمِ. فأمَّا الأولُ ضَعَّفَهُ الحافظُ السيوطيُّ، والثاني رَدَّهُ البخاريُّ، والثالثُ ضَعَّفَهُ الشافعيُّ وعدد من الحفاظ.

[٦٤] س: ماذا قالَ المشبهةُ في لفظة «في السماء» التي في حديثِ الجارية؟

ج: حَمَل المُشبهة رواية مسلم على ظاهرِهَا فَضَلُّوا ولا يُنجيهم منَ الضلالِ قولُهم إننا نحملُ كلمةَ في السماءِ بمعنى إنهُ فوقَ العرشِ لأنهم يكونونَ بذلكَ أثبتوا لهُ مِثلًا وهوَ الكتابُ الذي كَتَبَ الله فيه **إن رَحمَتي سَبَقَت غَضبي فوقَ العرشِ** فيكونونَ أثبتوا المُمَاثَلَةَ بينَ الله وبينَ ذلكَ الكتاب

لأنهم جعلوا الله وذلكَ الكتاب مستقرَّيْنِ فوقَ العرش فيكونونَ كذبوا قولَ الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۝١١﴾ ثم على اعتقادِهم هذا يلزمُ أن يكونَ الله محاذيًا للعرشِ بقدرِ العرشِ أو أوسَعَ منهُ أو أصغرَ، وكلُّ ما جَرَى عليهِ التّقديرُ حَادِثٌ محتاجٌ إلى من جَعَلَهُ على ذلكَ المقدارِ، والعرشُ لا مناسبةَ بينهُ وبينَ الله كما أنه لا مناسبةَ بينهُ وبينَ شيءٍ من خَلقِهِ، ولا يتشرَّفُ الله بشيءٍ من خلقِهِ ولا ينتفعُ بشيءٍ من خلقِه.

[٦٥] س: ما الردُّ على المشبهةِ في قولهم الله قاعدٌ على العرش؟

ج: قولُ المشبهةِ الله قاعدٌ على العرشِ شَتمٌ لله لأن القعودَ من صفةِ البشرِ والبهائمِ والجِنّ والحشرات وكلُّ وَصفٍ من صفاتِ المخلوقِ وَصْفُ الله به شَتمٌ لهُ، قالَ الحافظُ الفقيهُ اللغويُّ مرتضى الزبيديُّ: «مَن جَعَلَ الله تعالى مُقَدَّرًا بِمقدَارٍ كَفَرَ» أي لأنهُ جعلَهُ ذا كميةٍ وحجمٍ والحجمُ والكميةُ من موجبَاتِ الحُدوثِ، وهل

عرفنا أن الشمس حادثةٌ مخلوقةٌ من جهةِ العقلِ إلا لأن لها حَجمًا، ولو كانَ الله تعالى حجمٌ لكانَ مِثلًا للشمسِ في الحجميَّةِ ولو كانَ كذلكَ ما كانَ يستحقُّ الألوهيةَ كَما أن الشمسَ لا تستحقُّ الألوهية.

[٦٦] س: اذكرْ كيفَ يَكْسِرُ عابدُ الشمسِ المُشبّه الذي يَجْعلُ لله مكانًا.

ج: لو طَالَبَ هؤلاءِ المشبهةَ عابدُ الشمسِ بدليلٍ عقليّ على استحقاقِ الله الألوهية وعدم استحقاقِ الشمسِ الألوهية لم يكن عندَهم دليلٌ، وغَايَةُ ما يستطيعونَ أن يقولوا قالَ الله تعالى ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ۝٦٢﴾ [سورة الزمر]، فإن قالوا ذلكَ لعابدِ الشمسِ يقولُ لهم عابدُ الشمسِ: أنا لا أؤمنُ بكتابكم أعطوني دليلًا عقليًّا على أن الشمسَ لا تستحقُّ الألوهيةَ فهنا ينقطعونَ.

فلا يوجدُ فوقَ العرش شيءٌ حيٌّ يسكنه إنما يوجدُ كتابٌ فوقَ العرشِ مكتوبٌ فيه: «**إنَّ رحمتي سَبَقَت غَضبي**» أي أن مظاهر الرحمة أكثر من

مظاهر الغضب، الملائكة من مظاهر الرحمة وهم أكثرُ عددًا من قطرات الأمطار وأوراق الأشجار، والجنة من مظاهر الرحمة وهي أكبر من جهنم بآلاف المرات.

[٦٧] س: اذكر الدليلَ على وجودِ كتابٍ فوقَ العرشِ.

ج: الدليلُ عَلَى وُجُودِ جسمٍ مخلوقٍ فَوْقَ العَرْشِ وجُودُ الكتابِ الذي أخرجَ حديثَهُ البخاريُّ والنسائيُّ في السننِ الكبرى وغيرُهما، ولفظ روايةِ ابن حبّانَ: «**لمَّا خلقَ الله الخلقَ كتبَ في كتابٍ يكتبُهُ على نفسِهِ**[١] **وهو مرفوعٌ فوقَ العرشِ إن رحمتي تَغلبُ غَضَبي**».

فإن حاوَلَ محاوِلٌ أن يؤوّلَ «فوق» بمعنى دون قيلَ لهُ: تأويلُ النصوصِ لا يجوزُ إلا بدليلٍ نقليّ ثابتٍ أو عقليّ قاطِعٍ وليس عندهم شيءٌ من هٰذينِ، ولا دليلَ على لزومِ التأويلِ في هذا الحديثِ، كيفَ وقد قالَ بعضُ العلماءِ إن اللوحَ

---

(١) معناه وَعَدَ.

المحفوظَ فوقَ العرشِ لأنه لم يَرد نصٌّ صريحٌ بأنه فوق العرشِ ولا بأنه تحتَ العرشِ فبقي الأمرُ على الاحتمالِ أي احتمالِ أن اللوحَ المحفوظ فوقَ العرشِ واحتمالِ أنه تحتَ العرشِ، فَعَلى قولِهِ إنهُ فوقَ العرشِ يكون جعلَ اللوحَ المحفوظَ معادِلا لله أي أن يكونَ الله بمحاذاةِ قسمٍ مِنَ العرشِ واللوحُ بمحاذاةِ قسمٍ مِنَ العرش وهذا تشبيهٌ لهُ بخلقِهِ لأن محاذاةَ شيءٍ لشيءٍ مِن صفاتِ المخلوقِ.

[٦٨] س: ما الدليلُ على أن الكتابَ الذي فوقَ العرشِ فوقيتُهُ حقيقية؟

ج: مما يدل على أن ذلك الكتاب فوق العرش فوقيةً حقيقيةً لا تحتمل التأويل الحديث الذي رواه النسائيُّ في السنن الكبرى: «**إنَّ الله كتَب كتابًا قبل أن يخلُقَ السمٰواتِ والأرض بألفي سنة فهوَ عندَهُ على العرشِ وإنه أنزلَ من ذلك الكتاب ءايتين ختم بهما سورة البقرةِ**»، وفي لفظ لمسلم: «**فهو موضوعٌ عندهُ**» فهذا صريحٌ في أنَّ ذلكَ

الكتاب فوقَ العرشِ فوقيةً حقيقيةً لا تحتَمِلُ التأويلَ.

[٦٩] س: ما معنى كلمةِ «عند» الواردةِ في لفظِ مسلمٍ للحديثِ السابقِ ذكره؟

ج: كلمةُ «عندَ» للتشريفِ ليسَ لإثباتِ تحيزِ الله فوقَ العرشِ لأنَّ «عندَ» تُستعمَلُ لغيرِ المكانِ قالَ الله تعالى ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۝٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۝٨٣﴾ [سورة هود] إنّما تدلُّ «عندَ» هنا أنَّ ذلكَ بعلم الله وليسَ المعنى أنَّ تلكَ الحجارة مجاورةٌ لله تعالى في المكَان. فمَن يحتجُّ بمجرّدِ كلمةِ عند لإثباتِ المكانِ والتَّقارُبِ بينَ الله وبينَ خلقِهِ فهوَ من أجهَلِ الجاهلينَ، وهل يقولُ عاقلٌ إنَّ تلكَ الحجارةَ التي أنزلها الله على أولئكَ الكفرةِ نَزَلَت مِنَ العرشِ إليهم وكانت مكوّمَةً بمكان في جنبِ الله فوقَ العرشِ على زعمِهم.

[٧٠] س: اذكرْ حديثين ينقضانِ على المشبهةِ حَمْلَهم حديثَ الجاريةِ على ظاهره.

ج: رَوى البُخَارِيُّ أنَّ النّبيَّ ﷺ قَال: «**إذَا كَانَ أَحَدُكُم في صَلاتِهِ فَإنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ فَلا يَبْصُقَنَّ في قِبْلَتِهِ ولا عَنْ يَمِينِهِ فَإنَّ رَبَّه بَيْنَه وبَيْنَ قِبْلَتِهِ**»، وهذا الحديثُ أقْوى إسْنادًا منْ حَدِيثِ الجَارِيَةِ.

وأَخْرَجَ البُخَارِيُّ أَيْضًا عَنْ أَبي مُوسَى الأشْعَرِيِّ أنَّ رَسولَ الله ﷺ قَالَ: «**ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُم فإنَّكُم لا تَدْعُوْنَ أَصَمَّ ولا غَائِبًا، إنكم تَدْعُونَ سَمِيْعًا قَرِيبًا، والذي تدعونَهُ أقْربُ إلى أحدِكُم مِن عُنُقِ رَاحِلَةِ أحدِكُم**».

فَيقالُ للمعتَرِضِ: إذَا أَخذْتَ حَدِيثَ الجَارِيَةِ علَى ظَاهِره وهٰذَين الحدِيثَينِ على ظَاهِرهما لَبَطَلَ زَعْمُكَ أنَّ الله في السَّماءِ وإنْ أوَّلْتَ هٰذَيْنِ الحَدِيثَيْنِ ولَم تُؤَوِّلْ حَدِيثَ الجَارِيَةِ فَهَذَا تَحكُّمٌ - أي قَوْلٌ بِلا دَلِيل -، ويَصْدُقُ عَلَيْكَ قَولُ الله في اليَهُودِ ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة البقرة]. وكَذَلِكَ مَاذا تَقُولُ في قَولِه تَعالى ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴿١١٥﴾﴾ [سورة البقرة] فَإنْ أَوَّلْتَه فَلِمَ لا تُؤَوّلُ حَدِيثَ الجاريةِ. وقَد جَاءَ في تَفسِيرِ هَذِهِ الآيةِ عنْ

مُجاهِدٍ تِلميذِ ابنِ عَبَّاسٍ: «قِبْلَةُ الله»، فَفَسَّرَ الوَجْهَ بِالْقِبْلَةِ، أيْ لِصَلاةِ النَّفْلِ في السَّفَرِ عَلى الرَّاحِلَةِ.

[٧١] س: ما معنى حديثِ: «الراحمونَ يرحمُهُمُ الرَّحْمٰن ارحَمُوا من في الأرضِ يرحمْكُمْ من في السماء»؟

ج: الحَدِيثُ الذِي رَواهُ التِّرمِذِيُّ وهُوَ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُم الرّحمٰنُ ارْحَمُوا مَنْ في الأرْضِ يَرْحَمْكُم منْ في السَّمَاءِ»، وَفي رِوَايَةٍ أُخْرَى «يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ»، فَهَذِهِ الرّوَايَةُ تُفَسّرُ الرّوايَةَ الأُوْلَى لأنَّ خَير مَا يُفسَّرُ بهِ الحَدِيْثُ الوارِدُ بالوارِدِ كَما قَالَ الحَافِظُ العِراقيُّ في ألفِيَّتِهِ: وخيرُ ما فسّرتَه بالواردِ. ثمّ المرادُ بأهْلِ السَّماءِ المَلائِكةُ، ذَكَرَ ذلكَ الحَافِظُ العِراقيُّ في أمَالِيّه عَقِيبَ هَذَا الحدِيثِ، ونص عبارته: وَاسْتدلَّ بقَوْلِه: «أَهْلُ السَّمَاءِ» عَلَى أنَّ المُرادَ بِقوله تعالى في الآية ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿١٦﴾﴾ الملائكَةُ» اهـ، لأنه لا يقال لله «أَهْلُ السَّمَاءِ»، و«مَنْ» تَصلُح للمُفرَد وللجَمْع فلا حجّةَ لهم في الآية، ويقال

مثلُ ذلك في الآيةِ التي تَليْها وهي ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴿١٧﴾﴾ فـ «مَـن» فـي هذه الآيةِ أيضًا أهلُ السماءِ، فإن الله يسلطُ على الكفارِ الملائكة إذا أرادَ أن يُحِل عليهم عقوبَته في الدنيا كما أنهم في الآخرةِ هم الموكلونَ بتسليطِ العقوبةِ على الكفارِ لأنهم خزنَةُ جهنم وهم يَجرُّونَ عنُقًا من جهنمَ إلى الموقفِ ليرتاعَ الكفارُ برؤيتهِ. وتلكَ الروايةُ التي أوردَها الحافظُ العراقيُّ في أماليّه هكذا لفظُها: «**الراحمونَ يرحمهُم الرحيمُ ارحموا أهلَ الأرضِ يرحَمْكُم أهلُ السماءِ**».

[٧٢] س: اذكرْ حديثين يهدِمانِ على المشبهةِ قولَهم الله يسكنُ السماء.

ج: لَو كَانَ الله سَاكِنَ السَّمَاءِ كَما يَزْعمُ البَعْضُ لَكانَ الله يُزَاحِمُ الملائِكةَ وهَذا مُحالٌ، فَقَد ثَبتَ حَديثُ أنّه: «**ما في السَّمٰوات مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابعَ إلا وفِيهِ مَلَكٌ قَائِمٌ أَوْ رَاكِعٌ أو سَاجِدٌ**».

وكَذَلِكَ الحَديثُ الذي رَواهُ البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ

عَن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيّ أنَّ الرّسولَ ﷺ قال: «ألا تأمَنُوني وأَنَا أَمِينُ مَنْ في السَّمَاءِ يَأتيني خَبرُ مَن في السَّمَاءِ صَباحَ مَسَاءَ» فالمقْصُودُ به الملائِكةُ أيضًا، وإنْ أُرِيد بِه الله فَمعْنَاهُ الذي هُوَ رَفِيعُ القَدْرِ جدًّا.

[٧٣] س: ما معنى قولِ زينبَ بنتِ جحشٍ زَوَّجَكُنَّ أهاليكنَّ وزوجني الله من فوقِ سبعِ سمٰوات؟

ج: حَدِيْثُ زَيْنبَ بنْتِ جَحْشٍ زَوْج النّبي ﷺ أنَّها كَانَت تقُولُ لنساءِ الرسولِ: «زَوّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ وَزَوَّجَنِي الله منْ فَوقِ سَبْعِ سَمٰواتٍ» فَمعْنَاهُ أَنَّ تَزوّجَ النّبيّ بِها مُسَجَّلٌ في اللّوحِ المحفُوظِ وهذه كتابةٌ خاصةٌ بزينبَ ليست الكتابة العامة، الكتابةُ العامةُ لكلّ شخصٍ فكلُّ زواجٍ يحصلُ إلى نهايةِ الدنيا مسجلٌ، واللّوحُ فَوقَ السَّمٰواتِ السَّبْعِ.

[٧٤] س: ما معنى قولهِ عليه السلام في الحديثِ «إلا كانَ الذي في السماءِ سَاخطًا عليها»؟

ج: الحَدِيثُ الذي فِيه: «والذي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امرَأَتَهُ إلى فِراشِهِ فَتَأْبى عَلَيْه إلا كَانَ الذي في السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا» الحديث، فَيُحملُ

أيضًا عَلى الملائِكةِ بدَلِيلِ الرّوَايَةِ الثّانِيةِ الصَّحِيحَةِ وَالتي هِي أَشْهَرُ مِنْ هَذِهِ وَهي: «لَعَنَتْها المَلائِكَةُ حتى تُصْبِحَ»، رَوَاهَا ابن حبّان وغيرُه.

[٧٥] س: ماذا يقالُ في حديثِ «ربنا الذي في السماء تقدس اسمك»؟

ج: حَدِيثُ أَبي الدَّرْدَاءِ أَنَّ النّبي ﷺ قالَ: «رَبَّنَا الذي في السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ» لَم يَصِحَّ بَلْ هُوَ ضَعِيفٌ كَمَا حَكَم عَلَيْهِ الحافظ ابنُ الجَوْزِيّ، وَلَوْ صَحَّ فَأَمرُهُ كما مَرَّ في حَدِيثِ الجارِيَةِ.

[٧٦] س: ماذا يقالُ في حديثِ «إن الله على عَرْشه»؟

ج: حَدِيثُ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِم عن النبي ﷺ: «إِنَّ الله عَلى عَرْشِهِ فَوْقَ سَمٰواتِه، وسَمٰواتُه فَوْقَ أَرَاضِيْهِ مِثْلَ القُبّةِ» لَم يُدْخِلْهُ البُخَارِيّ في الصَّحِيح فَلا حُجَّةَ فِيهِ، وَفي إسْنادِهِ مَنْ هُوَ ضَعِيفٌ لا يُحْتَجُّ بِه، ذَكَرَه ابنُ الجَوْزِيّ وغَيْرُهُ.

فَصْلٌ في صفاتِ اللّه الواجبةِ لهُ

ويتضمن ثلاثين سؤالا

[٧٧] س: اذكرْ صفاتِ الله الثلاثَ عَشْرةَ الواجبةَ له تعالى.

ج: جرَتْ عادَةُ العُلماءِ المؤلفينَ في العَقيدةِ منَ المتأخّرينَ على قَوْلِهم: إنّ الوَاجِبَ العَيْنِيَّ المَفْرُوْضَ علَى كُلّ مُكَلَّفٍ «أَي البَالغِ العَاقِلِ» أَنْ يَعْرِفَ مِن صِفاتِ الله ثلاثَ عَشْرةَ صِفَةً:

الوجودَ، والقِدَمَ، والمخالفةَ للحوادثِ، والوَحدانيّةَ، والقيامَ بنَفْسِه، والبقاءَ، والقُدْرةَ، والإرادةَ، والحياةَ، والعِلْمَ، والكَلامَ، والسَّمْعَ، والبَصرَ، وأنَّه يَستحيلُ على الله ما ينافي هذِه الصّفاتِ.

وهذه الصفات الثلاث عشرة هي الصفات القائمة بذات الله بالاتفاق.

[٧٨] س: ما حكمُ معرفةِ هذهِ الصفاتِ الثلاثَ عشرة؟

ج: لَمَّا كَانَت هَذِهِ الصّفَاتُ ذُكِرَتْ كَثيرًا في النُّصُوص الشَّرْعيَّة قَالَ العلماءُ: يَجبُ مَعْرِفَتُها وُجُوبًا عَيْنِيًّا - أي على كلّ مكلّفٍ بعَيْنه.

[٧٩] س: تكلمْ عن صفةِ الوجودِ لله.

ج: الله تعالى مَوْجُودٌ أزَلا وأبَدًا فَلَيْسَ وجُودُه تَعالى بإيجادِ موجِدٍ.

[٨٠] س: بماذا ترد على من استنكر قول «الله موجود» لكونه على وزن مفعول؟

ج: يُقالُ لَهُم إنَّ مفعولا قد يُطلَقُ على مَن لم يقعْ عليه فِعلُ الغَيرِ كما نَقولُ الله معبودٌ وهؤلاء ظنُّوا بأنفُسِهِم أنَّ لهُم نَصِيبًا في عِلمِ اللغةِ وليسُوا كما ظنُّوا قَالَ اللُّغَويُّ الكَبِيرُ شَارِحُ القَامُوسِ الزَّبيديُّ في شَرْحِ الإحياءِ مَا نَصُّه: «والبَارِئ تَعالى مَوْجودٌ فصَحَّ أَن يُرَى».

وقَالَ الفَيُّومِيُّ اللُّغَوِيُّ صَاحِبُ المِصْبَاحِ: «المَوْجُودُ خِلافُ المَعْدُوْمِ».

[٨١] س: تكلمْ عن صفةِ القِدَم لله.

ج: يَجِبُ لله القِدَمُ بمَعنَى الأزَلِيَّةِ لا بِمَعْنَى تَقَادُمِ العَهْدِ والزَّمَنِ لأَنَّ لَفْظَ القَدِيمِ والأَزَليّ إِذَا أُطْلِقَا عَلَى الله كَانَ المَعْنَى أَنَّهُ لا بِدَايَةَ لِوجُودِهِ،

فَيُقَالُ الله أزليٌّ الله قَدِيمٌ، وإذَا أُطلِقَا على المَخْلُوقِ كَانَا بِمَعْنَى تَقَادُمِ العَهْدِ والزّمَنِ، قالَ الله تعَالى في القَمرِ ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة يس]، وقَالَ صَاحِبُ القَامُوس (الفَيروزءابادى): «الهَرَمَانِ بِناءَانِ أَزَلِيَّانِ بِمصْرَ».

وأَمَّا بُرهَانُ قِدَمِه تَعَالى فَهُو أنَّه لَو لَم يكنْ قَدِيمًا لَلَزمَ حُدُوْثُه فيفتَقِرُ إلى مُحْدِثٍ فيلزَمُ الدَّورُ أو التَّسَلْسُلُ وكلٌّ مِنهُما مُحَالٌ، فَثَبَتَ أنَّ حُدوثَه تعالى مُحالٌ وقِدَمَهُ ثابتٌ.

[٨٢] س: تكلم عن صفةِ البقاء لله.

ج: يَجبُ البقاءُ لله تعالى بمعنَى أنّهُ لا يلحقُهُ فناءٌ، لأنّه لمَّا ثبتَ وجوبُ قِدَمِه تعالى عَقلًا وجبَ لهُ البقاءُ، لأنّهُ لو أمكن أنْ يلحقَهُ العدَمُ لانتفَى عنهُ القِدمُ، فهوَ تباركَ وتعالى الباقي لِذاتِهِ لا باقيَ لذاتِهِ غيرُهُ، وأمّا الجنّةُ والنارُ فبقاؤهما ليسَ بالذّاتِ بل لأنَّ الله شاءَ لهما البقاء، فالجنّةُ باعتبارِ ذاتِهَا يجوزُ عليها الفناءُ وكذلكَ النّارُ باعتبارِ ذاتِها يجوزُ عليها الفناءُ.

[٨٣] س: تكلمْ عن صفةِ السمع لله.

ج: السَّمْعُ صِفَةٌ أزَليَّةٌ ثَابِتَةٌ لِذَاتِ الله، فَهُو يَسْمَعُ الأصوات بِسَمْعٍ أزَليّ أبدِيّ لا كسَمْعِنا، لَيْسَ بأُذُنٍ وصِمَاخٍ، فَهُو تعالى لا يَعْزُبُ أي لا يَغيبُ عن سَمْعِهِ مَسْمُوعٌ وإنْ خَفِي - أي علينا - وبَعُدَ - أي عنّا -، كما يَعْلَمُ بِغيْرِ قلبٍ.

ودَلِيلُ وجُوبِ السَّمْع لهُ عَقْلًا أنّه لَو لَم يكن مُتَّصِفًا بالسَّمْع لَكانَ مُتَّصِفًا بالصَّمَم وهُو نَقْصٌ على الله، والنّقْصُ عليهِ مُحَالٌ، فمنْ قَال إنّه يَسْمَعُ بأذُنٍ فَقَدْ أَلْحدَ وكَفَرَ.

[٨٤] س: تكلمْ عن صفةِ البصرِ لله.

ج: يَجب لله تعالى عَقْلًا البَصَرُ أي الرُّؤْيةُ، فَهُو يَرى بِرُؤْيةٍ أَزلِيَّةٍ أبدِيّةٍ المَرئِيّاتِ جَمِيْعَها ويَرَى ذَاتَه بِغَيْرِ حَدَقَةٍ وجَارِحَةٍ، لأَنَّ الحَوَاسَّ مِنْ صِفَاتِ المخلوقينَ.

والدَّلِيلُ عَلى ثُبُوتِ البَصَر لَهُ عَقْلًا أَنَّهُ لَو لَم يكُنْ بَصِيرًا رَائِيًا لَكَانَ أَعْمَى، والعَمَى أَيْ عَدَمُ الرُّؤْيةِ نَقْصٌ على الله، والنَّقْصُ عَلَيْه مُسْتَحِيلٌ.

ودَلِيلُ السَّمْعِ والبَصَرِ السَّمْعِيُّ الآياتُ والأحَادِيْثُ كَقَوْلِه تعَالى ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى]، وقَوْلِه ﷺ في تعْدَادِ أَسْمَاءِ الله الحُسْنَى: «السَّمِيعُ البَصِيرُ» وهُوَ في حَدِيثٍ أخْرجَهُ التِّرمِذِيُّ وحَسَّنَهُ.

[٨٥] س: تكلمْ عن صفةِ الكلامِ لله.

ج: الكَلامُ هُو صِفةٌ أزَليّةٌ أبديّةٌ هُوَ متكَلِمٌ بها ءامِرٌ نَاهٍ وَاعِدٌ مُتَوعِّدٌ، لَيْسَ ككَلامِ غَيْرِه بلْ أزَليٌّ بأَزَليَّةِ الذّاتِ لا يُشْبِهُ كَلامَ الخَلْقِ وليْسَ بِصَوتٍ يَحدُثُ منَ انْسِلالِ الهَواء أو اصطِكَاكِ الأَجْرامِ، ولا بِحَرفٍ يَنْقَطِعُ بإطباقِ شَفَةٍ أو تَحْرِيكِ لِسَانٍ.

ونَعتَقدُ أنَّ مُوسَى سَمِعَ كَلامَ الله الأَزَليَّ بِغَيْرِ حَرْفٍ ولا صَوْتٍ كمَا يَرَى المؤمِنُونَ ذاتَ الله في الآخِرَةِ من غيرِ أن يَكُونَ جَوْهَرًا ولا عَرَضًا لأَنَّ العَقْلَ لا يُحِيلُ سَماعَ مَا لَيْسَ بِحَرفٍ ولا صَوْتٍ.

وكَلامُه تعالَى الذَّاتيُّ لَيْسَ حُرُوفًا مُتَعَاقِبَةً كَكَلامِنا، وإذَا قرَأَ القَارِئ مِنَّا كَلامَ الله فقِرَاءَتُه حَرفٌ وصَوتٌ لَيْسَتْ أَزَلِيّةً.

[٨٦] س: القرءان وغيره من الكتب المنزلة لها إطلاقان اشرح ذلك مبينًا أنه لا يلزم من كون العبارة حادثة كون المعبر عنه وهو كلام الله الذاتيّ حادثًا.

ج: القُرْءانُ وغيره من الكتب المنزلة لها إطْلاقَانِ:

تُطْلَقُ علَى اللّفْظِ المُنزَّلِ وعلَى الكَلامِ الذَّاتيّ الأزلي الذي لَيْسَ هُوَ بِحَرْفٍ ولا صَوْتٍ ولا لُغَةٍ عَربيَّةٍ ولا غَيْرِها. فَإن قُصِدَ بها الكَلامُ الذَّاتيُّ فهو أزليٌّ ليس بحرفٍ ولا صوتٍ، وإن قُصدَ بها وبسائرِ الكتبِ السماوية اللّفْظُ المُنَزَّلُ فمنه ما هو باللغةِ العبريةِ ومنهُ ما هو باللغةِ السُّريانيةِ وهذه اللغاتُ وغيرُها من اللغاتِ لم تكن موجودةً في الأزل فخلقَهَا الله تعالى فَصَارت موجودةً، والله تعالى كانَ قبلَ كلّ شيءٍ وكانَ متكلمًا قبلَها ولم يزل متكلمًا وكلامُهُ الذي هو صفتُهُ أزليٌّ أبديٌّ وهو كلام واحد وهذهِ الكتبُ المنزلةُ كُلُّها عباراتٌ عن ذلكَ الكلامِ الذاتيّ الأزلي الأبدي، ولا يلزمُ من كونِ العبارةِ حادثةً كونُ المعبَّر عنه حادثًا ألا تَرَى أننا إذا كَتبنَا على لوح أو جدارٍ

«الله» فقيلَ هذا الله فهل معنَى هذا أن أشكال الحروفِ المرسومة هي ذات الله لا يتوهَّمُ هذا عاقلٌ إنّما يُفهمُ من ذلكَ أن هذه الحروف عبارةٌ عن الإلٰهِ الذي هو موجودٌ معبودٌ خالقٌ لكلّ شىءٍ ومعَ هذا لا يقالُ القرءانُ وغيره من الكتب المنزلة مخلوقٌ لكن يُبَيَّن في مقامِ التَّعليمِ أن اللفظَ المنزّلَ ليسَ قائمًا بذاتِ الله بل هو مخلوقٌ لله لأنه حروفٌ يسبِقُ بعضُها بعضًا وما كانَ كذلك حادثٌ مخلوقٌ قطعًا، لكِنّه ليْسَ مِنْ تصنِيفِ مَلَكٍ ولا بَشَرٍ فَهُوَ عِبَارَةٌ عَن الكَلامِ الذَاتيّ الذي لا يُوصفُ بأنَّه عَرَبيٌّ ولا بأنّهُ عِبْرانيٌّ ولا بِأَنَّهُ سُرْيَانِيٌّ، وكُلٌّ يُطْلَق علَيْهِ كَلامُ الله أيْ أنَّ صِفَةَ الكَلام القَائِمَة بذَاتِ الله يُقالُ لَها كَلامُ الله، واللّفْظُ المُنزَّلُ الذي هُو عِبَارَةٌ عَنْهُ يقَالُ لَه كَلامُ الله.

[٨٧] س: بماذا ترد على من ادعى أن السلف ما كانوا يقولون إن الله متكلم بكلام ليس حرفًا ولا صوتًا؟

ج: قد نُقِلَ هذا التفصيلُ عن أبي حنيفةَ رضي الله

عنه وهوَ من السلفِ أدركَ شيئًا من المائةِ الأولى ثم توفيَ سنة مائةٍ وخمسينَ هجرية قالَ: «والله يتكلمُ لا بآلةٍ وحرفٍ ونحنُ نتكلّم بآلةٍ وحرفٍ» فليُفهم ذلكَ، وليسَ الأمرُ كما تقولُ المشبهةُ بأن السلفَ ما كانوا يقولونَ بأن الله متكلمٌ بكلامٍ ليسَ بحرفٍ وإنما هذا بدعةُ الأشاعرة، وهذا الكلامُ من أبي حنيفة ثابتٌ ذكرهُ في إحدى رسائلِهِ الخمسِ وقد صحح نسبتها إليه الحافظ محمد مرتضى الزبيدي في شرحه على إحياء علوم الدين.

[٨٨] س: لا يلزم من كون العبارة حادثة كون المعبر عنه حادثًا، اشرح ذلك بمثال فيه تقريب ذلك.

ج: تَقْريبُ ذَلِكَ أَنَّ لَفظَ الجَلالَةِ «الله» عِبَارَةٌ عن ذَاتٍ أزَليّ أبَدِيّ، فَإِذَا قُلنَا نَعبدُ الله فَذَلِكَ الذّاتُ هو المَقصُودُ، وإذَا كُتِبَ هذَا اللّفظُ فقِيلَ: مَا هَذا؟ يُقَال: الله، بِمعنَى أنَّ هذِه الحُروفَ تَدُلُّ على ذلك الذّاتِ الأزَليّ الأبَدِيّ لا بمَعنى أنَّ هذهِ الحروفَ هي الذّاتُ الذي نَعبُدُهُ.

[٨٩] س: تكلمْ عنِ الإرادة لله.

ج: اعْلَم أنَّ الإرادَةَ وهي المشِيْئَةُ واجبةٌ لله تَعالَى، وهي صِفَةٌ أَزلِيَّةٌ أَبديَّةٌ يُخَصّصُ الله بهَا الجَائِزَ العَقْليَّ بالوجُودِ بدَلَ العدَمِ، وبِصفَةٍ دُوْنَ أُخرَى وبِوَقتٍ دُوْنَ ءاخرَ. وبُرْهَانُ وُجُوبِ الإرَادَةِ لله أَنَّه لَوْ لَم يَكُن مُرِيدًا لَم يُوْجَدْ شَىءٌ مِنْ هَذَا العَالَمِ، لأَنَّ العَالَم مُمْكنُ الوُجُودِ فَوُجُودُهُ لَيْسَ وَاجِبًا لِذَاتِه عَقْلًا والعَالَمُ مَوْجُودٌ فَعَلِمْنَا أَنَّهُ مَا وُجِدَ إلا بتَخْصِيصِ مُخصِّصٍ لوُجُودِهِ وتَرْجِيحه لَهُ على عَدَمِه، فثَبتَ أَنَّ الله مُرِيْدٌ شَاءٍ.

ثُمَّ الإِرَادَةُ بِمَعْنَى المَشِيْئَةِ عِنْدَ أَهْلِ الحَقّ شَامِلَةٌ لأَعْمالِ العِبَادِ جَمِيعِها الخَيْرِ مِنْها والشَّرّ، فَكُلُّ مَا دَخَل في الوُجُود منْ أَعْمَالِ الشَّرّ والخَيْرِ ومِنْ كُفْرٍ أَو مَعَاصٍ أوْ طَاعَةٍ فَبمَشِيئَةِ الله وقَعَ وحَصَلَ، وهَذا كَمالٌ في حَقّ الله تَعَالَى لأَنَّ شُمُولَ القُدْرَةِ والمَشِيئَةِ لائِقٌ بجَلالِ الله، لأَنَّهُ لَو كانَ يَقَعُ في مُلْكِهِ مَا لا يَشَاءُ لَكانَ ذَلِكَ دَلِيلَ العَجْزِ والعَجْزُ مُسْتَحِيلٌ علَى الله.

والمَشِيئَةُ تَابِعَةٌ للعِلْم أي أَنَّهُ مَا عَلِمَ حُدُوْثَهُ فَقَدْ

شَاءَ حُدُوْثَهُ وَمَا عَلِمَ أَنَّه لا يكُونُ لَم يَشَأْ أَنْ يكُونَ.

[٩٠] س: ما الدليلُ على أن المشيئةَ ليستْ تابعةً للأمر؟

ج: لَيْسَت المَشِيْئَةُ تَابِعَةً للأَمْرِ بِدَلِيْل أَنَّ الله تَعَالى أَمَرَ إبراهِيْمَ بذَبْحِ ولَدِهِ إسْماعيلَ ولَمْ يَشَأ لهُ ذَلِكَ.
فإِنْ قِيْلَ: كَيْفَ يأمُرُ بما لَم يَشَأْ وقُوْعَهُ؟ فَالجَوابُ: أَنَّهُ قَدْ يأمُرُ بِمَا لم يَشَأْ، كَمَا أَنَّهُ عَلِمَ بوقُوْعِ شَيءٍ مِنَ العَبْدِ ونَهَاهُ عنْ فِعْلِهِ.

[٩١] س: تكلمْ عن صفةِ القدرة لله.

ج: يَجبُ لله تعالى القُدرَةُ عَلى كُلّ شَيءٍ والمُرَادُ بالشَّيءِ هُنَا الجَائِزُ العَقْلِيُّ فَخرجَ بذَلِكَ المُستَحِيلُ العَقْلِيُّ لأنّه غَيْرُ قَابِلٍ للوُجُودِ فَلَمْ يَصلُحْ أَنْ يَكُونَ مَحَلًّا لِتَعَلُّقِ القُدْرَةِ.

[٩٢] س: تكلمْ عن مخالفةِ ابنِ حزمٍ أهلَ الحقّ في مسئلةِ قُدرة الله.

ج: خَالَفَ في ذَلك ابنُ حَزم فقالَ: «إنَّ الله عَزَّ وجَلَّ قادِرٌ أنْ يَتّخِذَ ولَدًا إذ لَو لم يَقْدِر عَلَيه

لكَانَ عَاجِزًا»، وهَذَا الذي قَالَهُ غيرُ لازِم لأَنَّ اتّخَاذَ الوَلَدِ مُحالٌ عَلى الله والمُحَالُ العَقْلِيُّ لا يَدْخُلُ تَحتَ القُدرةِ، وعَدَمُ تَعلُّقِ القُدرةِ بالشَّيءِ تَارَةً يَكُونُ لِقُصُورِهَا عَنْهُ وذَلِكَ في المَخلُوقِ، وتارَةً يَكونُ لِعَدَم قَبُولِ ذلكَ الشيءِ الدّخولَ في الوُجُودِ أي حُدوث الوجود لِكَوْنِهِ مُستَحيلًا عَقلِيًا وتارةً يكون لعدَم قبُولِ ذلك الشّيء العدَمَ لكونه واجبًا عقليًا. أما المستحيلُ العقليُّ فعدمُ قَبولِهِ الدخولَ في الوجودِ ظاهرٌ وَأَمّا الواجبُ العقليُّ فَلا يقبلُ حدوثَ الوجودِ لأنَّ وجودَهُ أزليٌّ، فرقٌ بينَ الوجودِ وبينَ الدخولِ في الوجود، فالوجودُ يشمَلُ الوجودَ الأزليَّ والوجودَ الحادثَ وكلٌّ منهما يُسمّى وجودًا، أما الدخولُ في الوجودِ فَهو الوجودُ الحادثُ. فالواجبُ العقليُّ الله وصفاتُه، فالله واجبٌ عقليٌّ وجودُه أزليٌّ وصفاتُه أزليّةٌ ولا يُقال لله ولا لصفاتِهِ داخلٌ في الوجودِ لأنَّ وجودَهما أزليٌّ، فقولُنا إنَّ الواجبَ العقليَّ لا يقبلُ الدخولَ في الوجودِ صحيحٌ لكن يقصُر عنه أفهامُ المُبتدئينَ في العقيدةِ، أمّا عِندَ مَن مَارسَ فَهي واضحةُ المُرادِ.

والعَجزُ هُوَ الأَوّلُ المَنفِيُّ عَنِ قُدرَتِهِ تَعَالى لا الثّانِي، فَلا يَجُوزُ أنْ يُقَالَ إنَّ الله قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ ولا عَاجِزٌ، قَالَ بَعضُهُم: كَما لا يُقَالُ عن الحَجَر عَالِمٌ ولا جَاهِلٌ.

[٩٣] س: بماذا يجاب على قول بعض الملحدين هل الله قادر على أن يخلق مثله؟

ج: يُجَابُ علَى قَولِ بَعْض المُلحدينَ: «هل الله قَادِرٌ علَى أنْ يَخْلُقَ مِثْلَه» بأن هَذا فِيهِ تجوِيزُ المُحَالِ العَقلِيّ، وبَيانُ ذَلِكَ أَنَّ الله أزَلِيٌّ ولَو كان له مِثلٌ لَكانَ أزَلِيًّا، والأَزَلِيُّ لا يُخلَقُ لأنه موجودٌ فكيف يُخلَقُ الموجود. فَلَا يَجُوزُ هذا السُّؤَال أَيْ قَول هَل الله قَادِرٌ على أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُ وَمَن أَرادَ تَعَلُّمَ الجَوَاب يَقول مَا الجَوَاب عَلَى مَن يَسأَل هَذَا السُّؤَال أَو مَا الرَّد وَنَحو ذَلِكَ.

[٩٤] س: تكلمْ عن صفةِ العلمِ لله.

ج: اعلَم أَنَّ عِلْمَ الله قَدِيمٌ أزَليٌّ كَما أَنَّ ذَاتَه أزَليٌّ، فلَم يزَلْ عالِمًا بذَاتِه وصِفَاتِه وَما يُحْدِثُه من مَخلُوقَاتِه، فَلا يتّصِفُ بعِلْم حَادِثٍ لأَنَّه لَو جَازَ

اتِّصَافُه بالحَوادِث لانْتَفَى عَنْهُ القِدمُ لأَنَّ مَا كانَ مَحَلًّا للحَوادِثِ لا بُدَّ أنْ يكُوْنَ حَادِثًا.

[٩٥] س: ما معنى قولِهِ تعالى ﴿ٱلْـَٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ ﴿٦٦﴾﴾؟

ج: قَوْلُهُ تَعالى ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة الأنفال] ليس مرتبطًا بقوله ﴿ٱلْـَٔنَ ﴿٦٦﴾﴾ فليس المعنى أن الله علم ذلك بعد أن لم يكن عالمًا ومن فهم ذلك المعنى فقد ضلّ ضلالا بعيدًا إنما معنى الآية أن الله خفف عنكم الآن ما كان واجبًا عليكم من مقاتلة واحد من المسلمين لعشرة من الكفار بإيجاب مقاتلة واحد من المسلمين لاثنين من الكفار وذلك لأنه علم بعلمه الأزلي أن فيكم ضعفًا.

[٩٦] س: ما معنى قَوْله تَعالَى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة محمد]؟

ج: مَعْنَاهُ ولَنبْلُوَنَّكُم حَتَّى نُمَيِّزَ أي نُظْهِرَ للخَلقِ مَن يُجَاهِدُ ويَصْبِرُ مِنْ غَيْرِهم وكَانَ الله عَالِمًا قَبل، كَما نَقَلَ البُخَارِيُّ ذَلِكَ عَنْ أبي

عُبَيْدَةَ مَعْمَرِ بنِ المُثَنَّى، وَهَذَا شَبِيْهٌ بِقَوْلِهِ تَعَالى ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴿٣٧﴾﴾ [سـورة الأنفال].

[٩٧] س: تكلَّم عن صفةِ الحياةِ لله.

ج: يَجِبُ لله تَعَالَى الحَيَاةُ، فَهُوَ حَيٌّ لا كالأَحياء إِذ حَيَاتُهُ أَزَلِيَّةٌ أَبَدِيَّةٌ لَيسَت بِرُوْحٍ وَدَمٍ.

والدَّلِيلُ عَلَى وُجوبِ حَيَاتِه وجُودُ هَذا العَالَمِ، فَلو لم يَكُنْ حَيًّا لَم يُوجَدْ شيءٌ مِنَ العَالَمِ، لَكِنَّ وُجُودَ العَالَمِ ثَابِتٌ بالحِسّ والضَّرُورَةِ بِلا شك.

[٩٨] س: تكلَّم عن صفةِ الوحدانيةِ لله.

ج: مَعنى الوَحْدانِيّةِ أَنَّه لَيس ذَاتًا مُؤَلَّفًا من أَجْزَاءٍ، فَلا يُوْجَدُ ذاتٌ مِثْلُ ذَاتِه ولَيْسَ لغيرِهِ صفةٌ كصفتِهِ أو فعلٌ كفعلِهِ وليسَ المُرَادُ بوَحْدَانِيَّتِه وَحْدَانِيَّةَ العَدَدِ إذ الوَاحِدُ في العَدَدِ لَه نِصْفٌ وأَجْزَاءٌ أَيْضًا بَل المُرَادُ أَنَّه لا شبيه لَه.

وَبُرهَانُ وَحدانِيَّتِه هو أَنَّهُ لا بُدَّ للصَّانِعِ مِن أَن يَكُونَ حَيًّا قَادِرًا عَالِمًا مُرِيدًا مُختَارًا، فَإِذَا ثَبَت

وَصفُ الصَّانِعِ بِمَا ذَكَرنَاهُ قُلنَا لَوْ كَانَ لِلعَالَم صَانِعَانِ وَجَبَ أَن يَكونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنهُمَا حَيًّا قَادِرًا عَالِمًا مُرِيدًا مُختَارًا وَالمُختَارَانِ يَجُوزُ اختِلافُهُمَا في الاختِيَارِ لأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنهُما غيرُ مُجبَرٍ عَلَى مُوَافَقَةِ الآخَرِ في اختِيَارِه وإلا لكانا مَجبُورَين والمجبُورُ لا يكونُ إلـٰهًا، فإِذَا صَحَّ هَذا فَلو أرَاد أَحَدُهُما خِلافَ مُرَادِ الآخَرِ في شَيءٍ كأَنْ أَرادَ أحدُهما حَياةَ شخصٍ وأرادَ الآخرُ موتَه لَم يَخْلُ مِن أنْ يَتِمَّ مُرادُهُما أوْ لا يَتِمَّ مُرادُهُما أَو يتِمَّ مُرَادُ أَحَدِهِما وَلا يَتِمَّ مرادُ الآخَرِ، وَمُحَالٌ تَمَامُ مُرَادَيْهِما لتَضَادّهِما أي إن أرَادَ أَحدُهُما حَياةَ شخص وأرادَ الآخرُ مَوتَه يَستحيلُ أن يكونَ هَذا الشّخصُ حَيًّا وميّتًا في ءانٍ وَاحِدٍ، وإنْ لم يَتِمَّ مُرَادُهُما فَهُمَا عَاجِزَان والعَاجِزُ لا يكُونُ إلـٰهًا، وإِنْ تَمَّ مُرَادُ أَحَدِهما ولَم يَتِمَّ مُرَادُ الآخَرِ فَإِنَّ الذي لَم يَتِمَّ مُرَادُهُ عَاجِزٌ وَلا يَكُونُ العَاجِزُ إلـٰهًا ولا قَدِيمًا، وهَذِهِ الدّلالة مَعروفَةٌ عِندَ المُوَحّدِين تُسَمَّى بدلالَةِ التَّمَانُع، قَالَ تَعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۝٢٢﴾ [سورة الأنبياء].

[٩٩] س: تكلَّم عن صفةِ القيامِ بالنفسِ لله.

ج: اعلَم أَنَّ مَعْنَى قِيَامِه بنفسِه هُوَ اسْتِغنَاؤُهُ عَن كُلّ مَا سِوَاهُ فَلا يَحتَاجُ إِلى مُخَصِّصٍ لَهُ بالوُجُودِ لأَنَّ الاحتِيَاجَ إِلى الغيرِ يُنَافِي قِدَمَهُ وَقَد ثَبَتَ وُجُوبُ قِدَمِهِ وبَقَائِهِ.

[١٠٠] س: تكلَّمْ عن صفةِ المخالفةِ للحوادثِ لله.

ج: يَجِبُ لله تَعالى أنْ يكونَ مُخَالِفًا للحَوادِثِ بِمَعْنى أَنَّهُ لا يُشبِهُ شَيئًا من خَلقِه فلَيسَ هُوَ بِجوهَرٍ يَشغَلُ حَيِّزًا ولا عَرَضٍ، والجَوهَرُ مَا لَهُ تَحيُّزٌ وقِيَامٌ بِذَاتِه كالأَجْسَام، والعَرَضُ مَا لا يَقُومُ بِنَفْسِهِ وإِنَّما يَقُومُ بِغَيْرِهِ كالحَرَكَةِ والسُّكُونِ والاجْتِمَاع والافْتِرَاقِ والأَلْوَانِ والطُّعُوْمِ والرَّوَائِح، ولِذَلِكَ قَالَ الإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ في بعضِ رسائلِهِ في علم الكلامِ: «أَنَّى يُشْبِهُ الخَالِقُ مَخْلُوقَهُ» مَعناهُ لا يصحُّ عقلًا ولا نقلًا أن يُشْبِهَ الخَالِقُ مَخلُوقَه، وقال أبو سُلَيمَانَ الخَطَّابِيُّ: «إِنَّ الذي يَجبُ عَلَيْنَا وعلَى كُلّ مُسْلِمٍ أَنْ يَعْلَمَهُ أَنَّ رَبَّنَا لَيْسَ بِذِي صُوْرَةٍ وَلا هَيئَةٍ فإِنَّ الصُّوْرَةَ تَقْتَضي الكَيْفِيَّةَ وهي عن الله

وعَنْ صِفَاتِهِ مَنْفيَّةٌ» رَواهُ عنه البَيْهَقِيُّ في الأَسْماءِ والصّفَاتِ.

[١٠١] س: اذكر قول الطحاوي في تنزيه الله عن مشابهة خلقه وعن المكان وفي أي قرن كان؟

ج: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّحَاوِيّ: «وَمَنْ وَصَفَ الله بِمَعنًى مِنْ مَعَانِي البَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ». وهوَ مِن أَهْلِ القَرنِ الثَّالِثِ، فَهُوَ دَاخِلٌ في حَدِيثِ: «**خَيرُ القُرُونِ قَرْني ثُمَّ الذيْنَ يَلُونَهُم ثُمَّ الذيْنَ يَلُونَهُم**» رواهُ الترمذيُّ، والقرنُ المرادُ به مائة سنة كما قالَ ذلكَ الحافظُ أبو القاسِمِ ابنُ عساكرَ في كتابهِ تَبيين كذبِ المفتري الذي أَلَّفهُ في التنويهِ بأبي الحسنِ الأشعري رضيَ الله عنه.

[١٠٢] س: ما الدليلُ على أَن صفاتِ الله كُلَّها كامِلَةٌ؟

ج: صِفَاتُ الله تَعَالَى كُلُّها كاملةٌ قَالَ تَعَالَى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿١٨٠﴾﴾ [سورة الأعراف].

وقالَ تَعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة النحل] فَيَسْتَحِيلُ في حَقّهِ تَعالى أيُّ نَقْصٍ.

فصفات الله أزليةٌ أبديةٌ لأن الذاتَ أزليٌّ

فلا تحصُلُ لهُ صفةٌ لم تكن في الأزلِ، أما صفاتُ الخَلقِ فهي حادثةٌ تقبلُ التطور من كمال إلى أكملَ فلا يتجددُ على علم الله تعالى شيءٌ.

[١٠٣] س: ما معنى قولِهِ تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ ۝٣١﴾؟

ج: قولُهُ تَعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ ۝٣١﴾ [سورة محمد].

لَيسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّه سَوْفَ يَعْلَمُ المُجاهِدِينَ بَعْدَ أَنْ لَم يَكُنْ عَالِمًا بِهِم بِالامْتِحَانِ والاخْتِبَارِ وَهَذا يَسْتَحِيلُ عَلَى الله تَعالَى، بَلْ مَعْنَى الآيَةِ حَتَّى نُميِّزَ أي حَتَّى نُظْهِرَ لِلْعِبَادِ المُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِيْنَ مِنْ غَيْرِهِم.

ويَكْفُرُ مَنْ يَقُولُ إنَّ الله تَعَالى يَكْتَسِبُ عِلْمًا جَدِيدًا.

[١٠٤] ما معنى الآية ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٥٤﴾؟

ج: قَولُه تعالى ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٥٤﴾ [سورة آل عمران] المَكْرُ مِنَ

الخَلقِ خُبثٌ وخِدَاعٌ لإيصَالِ الضَّرَرِ إلى الغَيْرِ باسْتِعْمَالِ حِيلَةٍ، وَأَمَّا مِنَ الله تَعالى فَهُو مُجازَاةُ المَاكِرينَ بالعُقُوبَةِ مِن حَيثُ لا يَدرُونَ. وبِعبَارَةٍ أُخْرَى إنَّ الله أَقْوَى في إيصَالِ الضَّرَرِ إلى الماكِرِينَ من كُلّ مَاكِرٍ جَزَاءً لهُم علَى مَكرِهم، فَالمَكْرُ بِمَعْنى الاحْتِيَالِ مُسْتَحِيلٌ علَى الله.

وكَذَلِكَ قولُه تعالى ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴿١٥﴾﴾ [سورة البقرة] أَي يُجَازِيهِم عَلى اسْتِهزَائِهِم.

[١٠٥] س: ماذا قالَ العلماءُ في إطلاق الوجه واليد والعين والرضا والغضب في القرءان على الله تعالى؟

ج: العُلمَاءُ يقولونَ: نؤمِنُ بإثباتِ ما وَرَدَ في القرءانِ والحديثِ الصحيحِ كالوَجهِ واليَدِ والعَينِ والرّضَا والغَضَبِ وغيرِه علَى أنّها صِفَاتٌ يَعلَمُها الله لا علَى أنَّها جَوارِحُ وانفِعالاتٌ كأَيدِينا وَوجوهِنَا وعيونِنَا وغَضَبِنا.

فَإِنَّ الجَوَارِحَ مُسْتَحِيْلَةٌ على الله لِقَوْلِه تَعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى]، وقولِهِ ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [سورة الإخلاص].

قَالُوا لَو كَانَ لله عَيْنٌ بِمَعْنَى الجَارِحَةِ والجِسْمِ لَكَانَ لَهُ أَمْثَالٌ فَضْلًا عَنْ مِثْلٍ وَاحِدٍ ولَجَازَ عَلَيه ما يَجُوزُ على المُحْدَثَاتِ مِنَ المَوْتِ والفَناءِ والتَّغَيُّرِ والتَّطور، ولَكَانَ ذَلِكَ خُرُوْجًا مِنْ مُقْتَضَى البُرْهَانِ العَقْلِيّ علَى اسْتِحَالَةِ التَّغَيُّرِ والتَّحوُّلِ مِنْ حَالٍ إلى حَالٍ علَى الله.

[١٠٦] س: ما سببُ نزولِ سورةِ الإخلاص، وما معناها؟

ج: قَالَتِ اليَهُودُ للرَّسُولِ ﷺ: صِفْ لَنَا رَبَّكَ(١) قَدْ كَانَ سُؤالهُم تعنُّتًا (أي عِنادًا) لا حُبًّا للعِلْم واسْتِرْشَادًا بِه، فَأَنْزَلَ الله سُورَةَ الإِخْلاصِ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ أَي الذي لا يَقْبَلُ التَّعَدُّدَ والكَثْرَةَ ولَيسَ لَهُ شَرِيكٌ في الذَّاتِ أَو الصِّفَاتِ أَو الأَفْعَالِ، وَلَيْسَ لأَحَدٍ صِفَةٌ كَصِفَاتِه، بَلْ قُدْرَتُه تَعَالى قُدْرَةٌ وَاحِدَةٌ يَقْدِرُ بِهَا عَلَى كُلِّ شَيءٍ وعِلْمُهُ وَاحِدٌ يَعْلَمُ به كُلَّ شَيءٍ.

(١) أخرج البيهقي عن ابن عبّاس: «أنّ اليهود أتوا إلى النّبي فقالوا: يا محمّد صف لنا ربّك الذي تعبده. فنزلت: قل هو الله أحد...»، إلى ءاخر السّورة قال رسول الله: «**هذه صفة ربّي عزّ وجلّ**».

قولُهُ تعالى ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّـمَدُ ۝٢﴾ أي الذي تَفتَقِرُ إِليه جَمِيْعُ المَخلُوقَاتِ، معَ استِغْنَائِه عنْ كُلِّ مَوْجُودٍ، والذي يُقْصَدُ عندَ الشِّدَّةِ بجَميعِ أنْواعِها ولا يَجْتَلِبُ بخَلْقِه نَفْعًا لِنَفْسِه ولا يَدْفَعُ بِهِمْ عَن نَفْسِه ضرًّا.

قوله تعالى ﴿لَمۡ يَـلِدۡ وَلَـمۡ يُولَـدۡ ۝٣﴾ نَفْيٌ لِلْمَادِّيَّةِ والانْحِلالِ وَهُوَ أَنْ يَنْحَلَّ مِنْهُ شَىءٌ أَوْ أَنْ يَحُلَّ هُوَ في شَىءٍ.

وَمَا وَرَدَ في كتاب «مَوْلِدِ العَرُوسِ» مِنْ أنَّ الله تَعالى قَبَضَ قَبْضَةً مِن نُورِ وجْهِهِ فَقَالَ لها كُونِي مُحمَّدًا فَكَانَتْ مُحمَّدًا فَهذِه مِنَ الأَبَاطِيلِ المَدْسُوسَةِ، وحُكْمُ مَنْ يَعْتَقِدُ أنَّ مُحمَّدًا ﷺ جُزْءٌ مِنَ الله تَعَالى التَّكْفِيرُ قَطْعًا، وكَذَلِكَ الذي يَعْتَقِدُ في المَسِيحِ أَنَّه جُزْءٌ منَ الله.

وليسَ هذا الكتاب لابنِ الجَوزيّ رحمهُ الله، ولم يَنسُبْهُ إليهِ إلا المُستَشرِق برُوكلمَان.

قولُهُ تعالى ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَـدُۢ ۝٤﴾ أَيْ لا نَظِيْرَ لَهُ بِوَجْهٍ منَ الوُجُوهِ.

الآياتُ المُحْكَمَاتُ والمُتَشَابِهَاتُ

ويتضمن خمسة وعشرين سؤالا

[١٠٧] س: ما معنى المحكمِ والمُتشابه؟

ج: لِفَهْم هَذا المَوضُوعِ كَما يَنْبَغِي يَجبُ مَعْرفَةُ أنَّ القرءانَ تُوجَدُ فِيْهِ ءاياتٌ مُحْكَماتٌ وءاياتٌ مُتَشابِهاتٌ، قَالَ تَعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧﴾ [سورة آل عمران].

الآياتُ المُحْكَمَةُ: هِيَ مَا لا يَحْتمِلُ منَ التَّأوِيْلِ بِحَسَبِ وَضْعِ اللُّغَةِ إلا وَجْهًا وَاحِدًا، أَوْ مَا عُرِفَ المُرادُ به بوُضُوْحٍ كقَولِه تَعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَىۡءٌۖ ۝١١﴾، وقَولِه ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾، وقَولِهِ ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [سورة مريم].

الآياتُ المُتَشابِهَةُ: والمُتَشابِهُ هُو مَا لَم تَتّضِح دِلالتُه أوْ يَحتَمِلُ أَوْجُهًا عَدِيْدَةً واحتَاجَ إلى النَّظر لِحَمْلِهِ علَى الوَجْهِ المُطابِقِ كقَولِه تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه].

[١٠٨] س: ما معنى قولِهِ تَعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۝١٠﴾؟

ج: قَوْله تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۝١٠﴾ [سورة فاطر] أي أَنَّ الكَلِمَ الطَّيّبَ كَلا إلـهَ إلا الله يَصْعَدُ إلى مَحلّ كَرامَتِه وهُوَ السَّمَاءُ، والعَمَلُ الصَّالِحُ يرفَعُه أي الكلمُ الطيبُ يرفَعُ العملَ الصالحَ وَهَذَا مُنْطَبِقٌ ومُنْسَجِمٌ مَعَ الآيَةِ المُحكَمَةِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۝١١﴾.

[١٠٩] س: كيف يكون تفسير الآيات المتشابهة؟

ج: تَفْسِيرُ الآيَاتِ المُتَشَابِهَةِ يَجبُ أَنْ يُرَدَّ إلى الآيَاتِ المُحْكَمَةِ، هَذا في المُتَشَابِهِ الذي يَجُوزُ للعُلَماءِ أَنْ يَعْلَمُوهُ، وأَمّا المتشابهُ الذي أُريدَ بقوله ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۝٧﴾ [سورة آل عمران] على قراءةِ الوَقفِ على لفظِ الجَلالةِ فهوَ ما كانَ مثلَ وَجْبَةِ القيامةِ، وخروجِ الدَّجَّالِ على التّحديدِ فلَيسَ مِن قَبيْلِ ءايةِ الاستواءِ.

[١١٠] س: بَيّن مسلك السلفِ في تأويل الآياتِ المتشابهات.

ج: مَسْلَكُ السَّلَفِ: وهُم أَهْلُ القُرونِ الثّلاثَةِ الأُولى أي أكثرهم فإنَّهُم يُؤَوّلونَها تأوِيْلًا إجْماليًّا بالإيمانِ بها واعتِقَادِ أنها ليسَت من صفاتِ الجسمِ بل أنَّ لَها مَعْنًى يَليقُ بجَلالِ الله وعظَمَتِه بلا تعْيِينٍ، بَلْ رَدُّوا تِلْكَ الآياتِ إلى الآياتِ المحكَمَةِ كقولِهِ تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى].

وهُو كمَا قالَ الإمامُ الشَّافعيُّ رضيَ الله عنه: «ءامنْتُ بما جَاءَ عن الله على مُرادِ الله وبما جَاءَ عن رسولِ الله ﷺ على مُرادِ رَسُولِ الله» يعني رضي الله عنه لا علَى ما قد تذهَبُ إليه الأوْهَامُ والظُّنُونُ من المَعاني الحِسّيَّةِ الجِسْمِيَّةِ التي لا تَجُوزُ في حَقّ الله تعالى.

[١١١] س: كيف يُرَدُّ على من نَفَى التأويلَ التفصيليَّ عن السلف؟

ج: نفيُ التأويلِ التفصيلي عن السلفِ كما زعمَ بعضٌ مَردُودٌ بما في صَحيحِ البُخَاريّ في كِتابِ تَفْسيرِ القُرءانِ وعِبارتُه هُناكَ: «سورةُ القصَص»

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۝٨٨﴾ «إلا مُلْكَهُ ويقال ما يتقرب به إليه» اهـ، فملكُ الله صفةٌ من صفاتِهِ الأزليةِ ليس كالملكِ الذي يعطيهِ للمَخلوقينَ.

وَفيهِ غيرُ هَذَا المَوْضِعِ كتَأْوِيلِ الضَّحِكِ الوَارِدِ في الحَدِيثِ بالرَّحْمَةِ.

وصَحَّ أَيْضًا التَّأْويلُ التَّفصيليُّ عَن الإمام أحمَدَ وهُوَ منَ السَّلَفِ فَقد ثبَتَ عنْه أنَّه قالَ في قَولِهِ تعالى ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ ۝٢٢﴾ [سورة الفجر] إنما جَاءَتْ قُدْرتُه، صَحَّحَ سَندَهُ الحافِظ البَيْهقيُّ الذي قالَ فِيهِ الحافِظُ صَلاحُ الدّينِ العَلائيُّ: «لَم يَأْتِ بَعْدَ البَيْهقِيّ والدَّارَقُطنِيّ مِثْلُهمَا ولا من يُقارِبُهُما».

أما قولُ البيهقيّ ذلك ففي كتابِ «مَناقبِ أحمدَ»، وأمَّا قَولُ الحافِظِ أبي سَعيدٍ العَلائيّ في البَيهقيّ والدّارَقُطنيّ فذلكَ في كِتَابِه «الوَشْيُ المُعْلَمُ»، وأَمَّا الحَافِظُ أَبو سَعِيدٍ فَهُو الذي يَقُولُ فِيه الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ: «شَيْخُ مَشَايخِنا» وَكَانَ مِنْ أَهْلِ القَرْنِ السَّابعِ الهِجْرِي.

وهُنَاكَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ العُلَماءِ ذَكَرُوا في تآلِيْفِهم أنَّ أحمدَ أوّلَ مِنْهُمُ الحافِظُ عبدُ الرحمٰنِ بنُ

الجَوزِيّ الذي هُو أحَدُ أسَاطِينِ المَذْهَبِ الحنبليّ لكَثْرةِ اطّلاعِهِ عَلى نُصُوصِ المذهَبِ وأحوالِ أحمدَ.

وَقَد بَيَّنَ أَبُو نَصْرٍ القُشَيْرِيُّ رَحمَهُ الله الشَّنَاعَةَ التي تَلْزَمُ نُفَاةَ التّأويلِ، وأَبُو نَصْرٍ القُشَيْرِيُّ هُوَ الذي وصَفَهُ الحَافِظُ عَبدُ الرّزاقِ الطَّبْسِيُّ بإمَامِ الأَئِمَّةِ كَمَا نَقلَ ذَلِكَ الحَافِظُ ابنُ عَسَاكِرَ في كِتَابِهِ «تَبيينُ كَذِبِ المفْتَري».

[١١٢] س: ما هو مَسلكُ الخَلَفِ في تأويلِ الآيات المتشابهة؟

ج: مَسْلَكُ الخَلَفِ: أن يُؤَوّلُونَها تَفْصِيلًا بتَعْيِينِ مَعَانٍ لَهَا مِمّا تَقْتَضِيهِ لُغَةُ العَرَبِ وَلا يَحْمِلُونَها عَلَى ظَوَاهِرِها أيْضًا كَالسَّلَفِ، ولا بَأْسَ بسُلُوكِهِ ولا سِيَّمَا عنْدَ الخَوفِ مِنْ تَزَلزُلِ العَقِيْدَةِ حِفْظًا مِنَ التّشبيهِ مثْلُ قَولِه تَعالى في تَوبيخِ إبْليسَ ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۝٧٥﴾ [سورة ص].

فَيَجوزُ أن يُقَالَ المُرادُ باليَدَيْنِ العِنَايَةُ والحِفْظُ.

[١١٣] س: ما معنى قولِهِ تَعالى ﴿مِن رُّوحِنَا ۝٩١﴾ وقولِه ﴿مِن رُّوحِى ۝٧٢﴾؟

ج: لِيُعْلَمْ أنَّ الله تَعالى خَالِقُ الرُّوح والجَسَدِ فَلَيسَ رُوحًا ولا جَسَدًا، ومَعَ ذلِكَ أضافَ الله تَعالى رُوحَ عِيسَى ﷺ إلى نَفْسِه على مَعْنى المِلْكِ والتَّشْريفِ لا للجُزْئِيَّةِ في قَولِه تَعالى ﴿مِن رُّوحِنَا ﴿٩١﴾﴾ [سورة الأنبياء]، وكذلكَ في حَقِّ ءادَمَ قولُهُ تعالى ﴿مِن رُّوحِى ﴿٧٢﴾﴾ [سورة ص] فَمعنَى قولِهِ تَعالى ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴿١٢﴾﴾ [سورة التحريم] أَمَرْنَا جِبْرِيلَ عليهِ السّلامُ أنْ يَنفُخَ في مَرْيَمَ الرّوحَ التي هِيَ مِلْكٌ لَنا ومُشَرَّفَةٌ عِنْدَنَا.

لأَنَّ الأَرْواحَ قِسْمَانِ: أَرْوَاحٌ مُشَرَّفَةٌ، وَأَرْوَاحٌ خَبِيثَةٌ.

وَأَرْوَاحُ الأَنْبِيَاءِ منَ القِسْمِ الأَوَّلِ، فَإِضَافَةُ رُوحِ عِيسَى ورُوح ءادَمَ إلى نَفْسِه إِضَافَةُ مِلْكٍ وتَشْريفٍ.

ويَكفُر من يَعتَقِدُ أنَّ الله تعالى روحٌ، فالرّوحُ مخلوقةٌ تنزَّهَ الله عن ذلِكَ.

[١١٤] س: ما معنى قولِهِ تعالى في الكعبةِ ﴿بَيْتِىَ ﴿٢٦﴾﴾؟

ج: قَولُه تَعَالى في الكَعْبةِ ﴿بَيْتِيَ ۝٢٦﴾ [سورة الحج] فَهِيَ إضَافَةُ مِلكٍ للتشريفِ لا إضَافَةُ صِفَةٍ أو مُلابَسَةٍ لاسْتِحَالَةِ المُلامَسَةِ أو المُماسَّةِ بَيْنَ الله والكَعْبَةِ. وكذلك قولُ الله تعالى ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ۝١١٦﴾ [سورة المؤمنون] ليسَ إلا للدلالةِ على أن الله خالقُ العرشِ الذي هو أعظمُ المخلوقاتِ ليسَ لأن العرشَ له ملابَسَةٌ لله بالجلوسِ عليهِ أو بمحاذاتِهِ من غيرِ جلوسٍ، ليس المعنى أن الله جالسٌ على عرشِهِ باتصالٍ وليس المعنى أن الله محاذٍ للعرشِ بوجودِ فراغٍ بينَ الله وبينَ العَرشِ إن قُدّرَ ذلكَ الفراغُ واسعًا أو قصيرًا كلُّ ذلكَ مستحيلٌ على الله، وإنما مزيةُ العرشِ أنه كعبةُ الملائِكَةِ الحافينَ من حولِهِ كمَا أن الكعبةَ شُرفَت بطوافِ المؤمنينَ بها. ومن خواصّ العرشِ أنه لم يُعصَ الله تعالى فيهِ، لأنَّ مَن حولَهُ كُلُّهم عبادٌ مكرمونَ لا يَعصونَ الله طرفةَ عينٍ، ومن اعتقدَ أن الله خلقَ العرشَ ليجلِسَ عليهِ فقد شَبَّهَ الله بالملوكِ الذين يعملونَ الأسِرةَ الكبارَ ليجلسوا عليها ومن اعتقدَ هذا لم يَعرِف الله.

ويَكفُرُ من يَعتَقِدُ المُمَاسَّةَ لاسْتِحالتِها في حَقِّ الله تَعَالى.

[١١٥] س: ما تفسيرُ قولِهِ تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾؟

ج: تَفْسِيرُ الآيَةِ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] يَجِبُ أن يكونَ تفسيرُ هذه الآية بغيرِ الاستِقْرارِ والجلُوسِ ونحوِ ذلكَ ويَكْفُر منْ يعتَقِدُ ذَلِكَ، فَيَجِبُ تَركُ الحَمْلِ علَى الظّاهِر بَلْ يُحمَلُ على مَحْمِلٍ مُسْتَقِيمٍ في العُقُولِ فتُحمَلُ لفْظَةُ الاسْتِواءِ علَى القَهْرِ ففي لُغَةِ العَرَبِ يُقَالُ اسْتَوى فُلانٌ على المَمَالِكِ إذَا احْتَوَى علَى مَقَالِيدِ المُلْكِ واسْتَعْلَى علَى الرِّقَابِ.

كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

قَد اسْتَوَى بِشْرٌ علَى العِراقِ

مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ ودَمٍ مُهْراقِ

[١١٦] س: ما هي فائدةُ تخصيصِ العرشِ بالذّكْرِ؟

ج: فَائِدَةُ تَخْصِيص العَرْشِ بالذِّكْرِ أنَّهُ أعْظَمُ مَخلُوقَاتِ الله تَعَالى حجمًا فيُعْلَمُ شُمُولُ ما دُوْنَه

مِنْ بَابِ الأَوْلَى قَالَ الإمَامُ عَلِيٌّ: «إنَّ الله تَعَالى خَلَقَ العَرْشَ إظْهَارًا لقُدْرَتِهِ ولَمْ يَتَّخِذْهُ مَكَانًا لِذَاتِهِ» رواهُ الإمامُ المحدثُ الفقيهُ اللغويُّ أبو منصورٍ التميميُّ في كتابهِ التبصرة.

[١١٧] س: ما هو التأويل الإجمالي لقوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾؟

ج: يُقَالُ: اسْتَوَى اسْتِوَاءً يَعْلَمُهُ هُوَ مَع تَنزِيْهِهِ عن اسْتِواءِ المخْلُوقِيْنَ كَالجُلوسِ والاسْتِقرارِ.

[١١٨] س: ما معنى قول السلف «استوى بلا كيف»؟

ج: اعْلَم أَنَّه يَجِبُ الحَذَرُ مِنْ هؤلاءِ الذينَ يُجيزُوْنَ على الله القُعُودَ علَى العَرْشِ والاسْتِقْرارَ عليه مُفَسّرينَ لِقَوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ بالجُلُوسِ أو المحاذاةِ من فوق، ومُدَّعِينَ أَنَّه لا يُعْقَلُ مَوْجُودٌ إلا في مَكَانٍ، وحُجَّتُهم دَاحِضَةٌ، ومُدَّعِيْنَ أيضًا أنَّ قَوْلَ السَّلَفِ اسْتوى بلا كَيْفٍ مُوافِقٌ لذَلِكَ ولم يَدْرُوا أنَّ الكَيْفَ الذي نَفاهُ السَّلَفُ هُوَ الجُلُوسُ والاسْتِقْرارُ

والتّحَيُّزُ إلى المَكَانِ والمُحَاذاةُ وكلُّ الهيئاتِ من حركةٍ وسكونٍ وانفعَالٍ.

[١١٩] س: كيفَ يُردّ على المشبّهِ الذي يقولُ إذا قلتم الله موجودٌ بلا مكان تكونونَ نفيتم وجودَه؟

ج: نَردُّ عليه بما قالَهُ القُشَيْرِيُّ: «والذي يَدْحَضُ شُبهَهُم أَنْ يُقالَ لَهُم: قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ العَالَمَ أو المَكَانَ هَلْ كَانَ موجودًا أَمْ لا؟ فَمِنْ ضَرُورَةِ العَقْلِ أَنْ يَقُولُوا بَلَى فَيَلْزَمُه لَوْ صَحَّ قولُه لا يُعْلَمُ مَوجُودٌ إلا في مَكَانٍ أحَدُ أمْرَينِ:

إمَّا أَنْ يَقُولَ: المكانُ والعَرْشُ والعَالَمُ قَدِيمٌ، وإمَّا أَنْ يَقُولَ: الرَّبُّ مُحْدَثٌ، وهذا مآلُ الجَهلَةِ الحشوِيّةِ، لَيْسَ القَدِيمُ بالمُحْدَثِ والمُحْدَثُ بالقَدِيمِ» اهـ.

[١٢٠] س: كيف ترد على المشبه في حمله ءاية الاستواء على ظاهرها؟

ج: قَالَ القشيريّ في التَّذكِرَةِ الشَّرقِيَّةِ:

«فَإنْ قِيلَ ألَيْسَ الله يَقُولُ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] فَيَجبُ الأَخْذُ بظَاهِرِهِ،

قُلْنَا: الله يَقُولُ أَيْضًا ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۝٤﴾ [سورة الحديد]، ويقولُ ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ ۝٥٤﴾ [سورة فصلت] فَيَنْبَغِي أَيْضًا أَنْ نَأْخُذَ بِظَاهِرِ هَذِهِ الآياتِ حَتَّى يَكُونَ عَلى العَرْشِ وعِنْدَنا ومَعَنا ومُحِيطًا بالعَالَمِ مُحْدقًا بهِ بالذَّاتِ في حَالَةٍ وَاحِدَةٍ.

والوَاحِدُ يَسْتَحِيلُ أنْ يَكُونَ بذَاتِهِ في حَالَةٍ وَاحِدَةٍ بِكُلّ مَكَانٍ.

وقال رحمه الله: قَالُوا: قَولُه ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ ۝٤﴾ يَعْنِي بالعِلْم، و ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ ۝٥٤﴾ إحَاطَةَ العِلْم، قُلْنَا: وقَوْلُه ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ قَهَرَ وحَفِظَ وأَبْقَى»، انتهى.

يعني أَنَّهُم قَد أَوَّلُوا هَذِهِ الآيَاتِ وَلَمْ يَحْمِلُوها عَلَى ظَواهِرِهَا فَكَيفَ يَعِيبونَ على غَيْرِهم تَأْوِيلَ ءايةِ الاستِواءِ بالقَهْرِ، فَما هَذا التَّحَكُّمُ؟!

[١٢١] س: كيف تَرُدّ على من يمنعُ التأويلَ مطلقًا؟

ج: إنَّ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ: «إِنَّ التَّأْوِيلَ غَيرُ جَائِزٍ» خَبْطٌ وَجَهْلٌ وهُوَ مَحْجُوجٌ بقَولِه ﷺ لابنِ عَبّاسٍ:

«اللّهُمَّ عَلّمْهُ الحِكْمَةَ وتَأْوِيلَ الكِتَابِ» رواهُ البُخَارِيُّ وابنُ مَاجَه وغَيْرُهُما بألْفَاظٍ مُتعَدّدَةٍ.

قَالَ الحَافِظُ ابنُ الجَوْزيّ في كِتَابِهِ «المَجَالِسُ»: «ولا شَكَّ أنَّ الله اسْتَجَابَ دُعَاءَ الرّسُولِ هذا» اهـ، وشَدَّدَ النَّكِيرَ والتَّشْنِيعَ على مَنْ يَمْنَعُ التَّأْوِيلَ وَوَسَّعَ القَوْلَ في ذَلِكَ، فَلْيُطَالِعْهُ مَنْ أرَادَ زِيَادَةَ التَّأَكُّدِ.

[١٢٢] س: ما معنى الآية ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ۝٥٠﴾؟

ج: معنى قوله تعالى ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ۝٥٠﴾ [سورة النحل] فوقيةُ القهر دون المكانِ والجهةِ أي ليس فوقية المكانِ والجهةِ.

[١٢٣] س: ما معنى الآيةِ ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾؟

ج: قوله تعالى ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾ [سورة الفجر] لَيسَ مَجِيءَ الحَرَكَةِ والانْتِقَالِ والزَّوَالِ وإفراغ مَكَانٍ وَمَلْءِ ءاخَرَ بالنسبة إلى الله ومَن اعْتَقَدَ ذَلِكَ يَكْفُرُ.

فالله تَعَالى خَلَقَ الحَرَكَةَ والسُّكُونَ وكُلَّ مَا كَانَ مِنْ صِفَاتِ الحَوَادِثِ فلا يُوْصَفُ اللهُ تعَالى بالحَرَكَةِ وَلا بالسُّكُونِ، والمَعْنيُّ بِقَوْلِهِ ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ ﴿٢٢﴾﴾ جَاءَ أَمْرُ رَبّكَ أيْ أثَرٌ مِنْ ءاثَارِ قُدْرَتِه، وقَدْ ثَبَتَ عَنِ الإمَامِ أحْمَدَ أنَّهُ قَالَ في قَوِلِه تَعَالَى ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ ﴿٢٢﴾﴾ إنمَا جَاءَتْ قُدْرَتُه، رَوَاهُ البَيهَقِيُّ في مَنَاقِبِ أحْمدَ وقَدْ مَرَّ ذكره.

[١٢٤] س: ما معنى قولِهِ تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴿٤﴾﴾؟

ج: مَعْنَى قَولِه تَعَالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴿٤﴾﴾ [سورة الحديد] الإحاطةُ بالعِلْمِ، وتَأْتي المَعِيَّةُ أَيْضًا بمعْنى النُّصْرَةِ والكِلاءَةِ كقَولِه تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة النحل].

ولَيسَ المعْنِيُّ بِهَا الحلولَ والاتّصالَ ويَكْفرُ مَنْ يَعتَقِدُ ذَلِكَ لأَنَّهُ سُبْحانَهُ وتَعَالى مُنَزَّهٌ عن الاتّصالِ والانْفِصَالِ بالمَسَافَةِ.

فَلا يُقَالُ إنَّه مُتَّصِلٌ بالعَالَم ولا مُنْفَصِلٌ عَنْهُ بالمَسَافَةِ لأَنَّ هذِهِ الأمُور مِنْ صِفَاتِ الحَجمِ

والحجمُ هو الذي يَقبَلُ الأمرَينِ والله جلَّ وعَلا لَيْسَ بحادِثٍ، نفَى ذلكَ عن نفسِهِ بقولِهِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾.

[١٢٥] س: ما مَعنى الله أكبر؟

ج: لا يُوصَفُ الله تَعالى بالكِبَرِ حَجْمًا ولا بالصّغَرِ ولا بالطُّولِ ولا بالقِصَرِ لأَنَّهُ مُخالِفٌ للحَوادِثِ، ويَجبُ طَرْدُ كُلّ فِكْرَةٍ عَن الأَذْهَانِ تُفْضِي إلى تَقْدِيرِ الله تَعالى وتَحدِيدِه. فقولنا: «الله أكبر» مَعْنَاهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلّ كَبيرٍ قَدرًا ودَرَجَةً وَقُوَّةً وَعِلْمًا لا امتِدادًا، وهذا مُرادُ السَّلَفِ بقولِهِم في الآياتِ المُتَشَابِهَةِ: «أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَت بِلَا كَيْفِيَّةٍ» لَيْسَ معناهُ أن لَهُ كيفيّة ليستْ معلومةً لَنَا. وَلَيسَ مُوَافِقًا للسَّلَفِ مَنْ يقولُ بِنَاءً عَلَى ذلكَ استِوَاء الله تَعالَى عَلَى العَرْشِ جُلُوسٌ وَلَكِنْ لا نَعْلَمُ كيفيّةَ ذلكَ الجُلُوسِ.

[١٢٦] س: مَن مِنَ الكفارِ نَسَبَ إلى الله التَّعَبَ؟

ج: اليَهُودُ نَسَبُوا إلى الله تعالى التَّعَبَ، فَقَالوا إنَّه بَعْدَ خَلْقِ السَّمٰواتِ والأَرْضِ استَراحَ فاسْتَلْقَى علَى قَفَاهُ، وقولهم هَذَا كُفرٌ.

والله تعَالى مُنزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ، وعَنِ الانْفِعالِ كالإحْسَاسِ بالتَّعبِ والآلام واللذّاتِ، فالذي تَلحَقُهُ هَذِهِ الأحوالُ يَجبُ أنْ يكُونَ حَادِثًا مَخْلوقًا يَلْحَقُه التّغيُّرُ، وهَذا يَسْتَحيلُ عَلى الله تعَالى.

قالَ تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة ق].

إنَّما يَلْغَبُ مَن يَعْمَلُ بالجَوارِحِ والله سُبْحَانَهُ وتَعَالى مُنزَّهٌ عن الجارِحَةِ.

[١٢٧] س: اذكر حكمَ مَن قالَ لله أُذن.

ج: مَنْ قَالَ لله أُذُنٌ فَقَدْ كَفَرَ، ولَو قَالَ لَه أُذُنٌ لَيْسَت كآذانِنا، بِخلافِ مَنْ قالَ لهُ عَيْنٌ ليسَتْ كعُيُونِنَا وَيَدٌ لَيْسَت كأَيدينا بمَعْنَى الصّفَةِ فَإنَّهُ جائِزٌ لوُرُودِ إطْلاقِ العَيْنِ واليَدِ في القرءانِ ولَم يَرِدْ إطْلاقُ الأُذُنِ عَلَيْهِ.

[١٢٨] س: ما معنى قولِهِ تعالى ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴿١١٥﴾﴾؟

ج: قَالَ تَعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴿١١٥﴾﴾ [سورة البقرة].

المَعْنَى: فأَيْنَما تُوَجِّهُوا وجُوْهَكُم في صَلاةِ النَّفْلِ في السَّفرِ فَثَمَّ قِبلَةُ الله أيْ: فتِلْكَ الوِجْهَةُ التي تَوجَّهْتُم إلَيْها هِيَ قِبْلَةٌ لَكُم، ولا يُرادُ بالوَجْهِ الجَارِحَةُ.

[١٢٩] س: ما حكمُ من يعتقدُ الجارحةَ لله تعالى؟

ج: حُكْمُ مَنْ يَعتَقِدُ الجَارِحَةَ لله التَّكْفِيْرُ لأَنَّهُ لَو كَانَتْ لَهُ جَارِحَةٌ لكَانَ مِثْلًا لنَا يَجُوزُ عَليه مَا يَجُوزُ عَلَيْنا مِنَ الفَناءِ.

وَقَدْ يُرادُ بالوَجْهِ الجِهَةُ التي يُرادُ بها التَّقَرُّبُ إلى الله تَعالى، كأَنْ يَقُولَ أَحَدُهُم: «فَعَلْتُ كَذا وكَذا لِوَجْهِ الله»، ومَعْنَى ذلِكَ «فَعَلْتُ كَذا وكذا امْتِثالا لأَمْرِ الله تَعالى».

ويَحْرُمُ أنْ يُقالَ كَما شَاعَ بينَ الجُهَّالِ: «افتح النَّافِذَةَ لِنَرى وجْهَ الله»، لأنَّ الله تعالى قالَ لِمُوسَى ﴿لَن تَرَىٰنِي ۝١٤٣﴾ [سورة الأعراف] ولَوْ لَم يَكُن قَصْدُ النَّاطِقينَ بهِ رُؤيَةَ الله فَهو حَرامٌ.

[١٣٠] س: ما معنى قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۝٣٥﴾؟

ج: قَوْلُه تَعالى ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۝٣٥﴾

[سورة النور] مَعنَاهُ أنَّ الله تَعالى هَادِي أهْل السَّمٰواتِ والأَرْضِ لِنُورِ الإيْمانِ، رَوَاهُ البَيهَقيُّ عن عَبدِ الله بنِ عبَّاسٍ رَضِي الله عَنْهُما، فَالله تعَالى ليْسَ نُورًا بمَعنى الضَّوْءِ بلْ هوَ الذي خَلَقَ النُّورَ، قَالَ تَعالى ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۝١﴾ [سورة الأنعام]، أي خَلقَ الظُّلماتِ والنورَ، فكيفَ يُمكِنُ أنْ يكُونَ نُورًا كَخَلْقِه، تَعالى الله عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيْرًا.

وحُكْمُ من يَعتقِدُ أنَّ الله تعَالى نُورٌ أيْ ضَوءٌ التّكفيرُ قَطْعًا وهُنَاكَ العَديدُ منَ العَقَائِدِ الكُفْريَّةِ كَاعْتِقادِ أنَّ الله تعَالى ذُو لَوْنٍ أو ذُو شَكْلٍ فليَحْذَرِ الإنسَانُ مِنْ ذَلِك جَهْدَهُ علَى أيّ حَالٍ.

[١٣١] س: ما أصرحُ دليلٍ في القرءانِ على أنَّ الله ليسَ حجمًا كثيفًا ولا لطيفًا؟

ج: هذه الآيةُ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۝١﴾ [سورة الأنعام] أصرحُ دليلٍ على أن الله ليسَ حجمًا كثيفًا كالسمٰوات والأرض وليس حجمًا لطيفًا

كالظلماتِ والنور، فمن اعتقدَ أن الله حجمٌ كثيفٌ أو لطيفٌ فقد شبَّه الله بخلقهِ والآية شاهدةٌ على ذلكَ. أكثرُ المشبهةِ يعتقدونَ أن الله حجمٌ كثيفٌ وبعضُهم يعتقدُ أنه حجمٌ لطيفٌ حيث قالوا إنه نورٌ يتلألأ، فهذه الآيةُ وحدَها تكفي للردِ على الفريقينِ.

فصلٌ في القَدَر

ويتضمن واحدًا وثلاثين سؤالا

[١٣٢] س: ما معنى القَدَر؟

ج: قَالَ بَعْضُ العُلَماءِ: القَدَرُ هُوَ تَدْبيرُ الأَشْياءِ علَى وجْهٍ مُطَابِقٍ لِعِلْمِ الله الأزليّ ومَشِيئَتِه الأَزليَّةِ فيُوجِدُها في الوَقْتِ الذي عَلِمَ أَنَّها تَكُونُ فيه، فَيدخُلُ في ذَلِكَ عَمَلُ العَبْدِ الخَيْرَ والشَّرَّ باختِيَارِه. ويَدُلُّ علَيه قولُ رَسُولِ الله إلى جِبْريلَ حِينَ سَأَلَهُ عن الإيمانِ: «**الإيمانُ أنْ تُؤْمِنَ بالله ومَلائِكته وكتُبِه ورُسُلِهِ واليَوم الآخِرِ وتُؤمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِه وشَرّه**» رواه مسلم.

ومَعْنَاهُ: أنَّ المَخْلُوقَاتِ التي قَدَّرَها الله تَعالى وفيها الخَيرُ والشَّرُّ وُجِدَت بتَقْديرِ الله الأزليّ، وأمَّا تَقْدِيرُ الله الذي هُوَ صِفَةُ ذاتِهِ فَهُوَ لا يُوصَفُ بالشَّرّ بل تقديرُ الله للشر الكفر والمعصية وتقديرُه للإيمانِ والطاعةِ حسنٌ منه ليس قبيحًا.

[١٣٣] س: ما الدليلُ على أن مشيئةَ الله نافذةٌ في جميعِ مراداته؟

ج: إرادةُ الله تعالى نَافِذَةٌ في جميعِ مُرَادَاتِهِ على حَسَبِ عِلمِهِ بها، فما علِمَ كَونَهُ أَرادَ كونه

في الوقتِ الذي يكونُ فيه، وما عَلِمَ أنَّه لا يكونُ لم يُرِدْ أن يكون.

فلا يَحدُثُ في العالم شيءٌ إلا بمشِيئتِهِ ولا يُصيبُ العبدَ شيءٌ من الخيرِ أو الشرّ أو الصحةِ أو المرضِ أو الفقْرِ أو الغِنى أو غيرِ ذلك إلا بمشيئةِ الله تعالى، ولا يُخطئ العبدَ شيءٌ قدَّرَ الله وشاءَ أن يصيبَهُ، فقد وَرَدَ أنَّ النبيَّ ﷺ عَلَّمَ بعضَ بناتِهِ: «**ما شاءَ الله كانَ وما لم يشأ لم يَكُن**» رواهُ أبو داودَ في السُّنَنِ ثمَّ تَواتَرَ واستفاضَ بين أفرادِ الأمَّةِ.

[١٣٤] س: اذكر قول الإمام علي في القدر.

ج: روى البيهقيُّ رحمَه الله تعَالى عن سيّدِنا عَليٍّ رضيَ الله عنْه أنَّه قالَ: «إنَّ أحَدَكُم لَنْ يَخْلُصَ الإيمانُ إلى قَلبِه حتّى يَستَيْقِنَ يَقِينًا غَيْرَ شَكٍّ أنَّ مَا أصَابَه لم يَكُن لِيُخطِئَهُ ومَا أخطأَهُ لم يكن لِيُصِيبَهُ، ويُقِرَّ بالقَدَرِ كلِّهِ» أي لا يَجوزُ أن يُؤْمنَ ببعْض القَدَرِ ويَكْفُرَ ببعضٍ.

[١٣٥] س: اذكرْ ما قاله عُمَرُ ردًا على مَن قَال إنّ الله لا يُضِلُّ أحدًا.

ج: رَوَى البَيْهَقِيُّ بالإسْنادِ الصّحيحِ أنَّ عمرَ بنَ الخَطّاب كانَ بالجَابيةِ - وهي أرضٌ من الشَّام - فقامَ خطيبًا فَحَمِدَ الله وأثْنَى عليه ثمَّ قالَ: «من يَهْدِ الله فلا مُضِلَّ لهُ ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ»، وكان عندَهُ كافرٌ من كفّارِ العجَم من أهْلِ الذّمّةِ فقال بلُغَتِهِ: «إنَّ الله لا يُضِلُّ أحدًا»، فقالَ عُمَرُ للتَّرجُمان: «ماذا يقولُ»؟ قال: إنّه يقولُ: إنّ الله لا يُضِلُّ أحدًا، فقالَ عمرُ: «كذَبتَ يا عَدُوَّ الله ولَولا أنَّكَ من أهل الذّمّةِ لضَربتُ عنُقَكَ هُوَ أضَلَّكَ وهُوَ يُدخِلُكَ النَّارَ إن شاءَ».

[١٣٦] س: اذكر الأبياتَ التي كان يُعْجَبُ بهن عمرُ مما يتعلقُ بالقَدَر واشرح معناها.

ج: رَوَى الحَافِظُ أبُو نُعَيْم عن ابنِ أخي الزُّهْرِيّ عن عمّه الزُّهريّ أنّ عُمرَ بنَ الخطابِ كان يحبُّ قصيدةَ لَبيدِ بنِ رَبيعَةَ التي مِنها هذِهِ الأبْياتُ، وهيَ:

إنَّ تَقْوى ربّنَا خَيرُ نَفَلْ

وبإذنِ الله رَيْثي وعَجَلْ

أحـــمَـــدُ اللهَ فَـــلا نِـــدَّ لـــهُ
بـيَـدَيْـهِ الـخـيـرُ مـا شَـاءَ فَـعَـلْ
مَـنْ هَـداهُ سُـبُـلَ الـخَـيْـرِ اهـتَـدى
نـاعِـمَ الـبَـالِ ومَـنْ شَـاءَ أضَـل

ومَعنى قولِه: «إنَّ تَقْوى ربّنا خَيرُ نفَل» أي خَيرُ ما يُعطاه الإنسانُ.

ومَعْنى قَولِه: «وبإذن الله رَيْثي وعَجَل» أي أَنّه لا يُبطِئ مُبْطِئ ولا يُسْرِعُ مُسْرِعٌ إلا بمشِيئَةِ الله وبإذنِه.

وقَوْلِه: «أَحْمَدُ الله فَلا نِدَّ لَهُ» أيْ لا مِثْلَ له.

وقولِه: «بيديه الخَيْرُ» أيْ والشَّرُّ.

وإنَّما اقتَصَرَ على ذِكر الخَير من بابِ الاكتِفاءِ كقَولِه تعالى ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴿٨١﴾﴾ [سورة النحل]، أي والبردَ لأن السرابيلَ تقي منَ الأمرينِ ليسَ منَ الحرّ فقط.

وقولِه: «ما شَاءَ فَعَل» أي ما أرادَ الله حُصولَهُ لا بُدَّ أن يَحصُلَ وما أرادَ أن لا يَحصُلَ فَلا يَحْصُلُ.

وقولِه: «من هَداهُ سُبُلَ الخَيْرِ اهتَدَى» أي من شَاءَ الله لـه أن يكـونَ عـلى الصّراطِ الصَّحيحِ المستَقيمِ اهتَدَى.

وقولِه: «ناعِمَ البالِ» أي مُطمئنَّ البَالِ.

وقولِه: «ومَنْ شاءَ أضَلّ» أي مَن شَاءَ له أن يكونَ ضَالا أضَلَّهُ.

[١٣٧] س: اذكر ما قَالهُ الشافعي لما سُئِلَ عَن القَدَر.

ج: روى البيهقيُّ عن الشافعيّ أنّه قَالَ حينَ سُئِل عن القَدَرِ:

ما شِئتَ كانَ وإن لم أشأ
وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن
خَلقتَ العبادَ على ما علمتَ
ففي العلمِ يجري الفَتَى والمُسِن
على ذا منَنْتَ وهذا خذلْتَ
وهذا أَعنتَ وذا لم تُعِنْ
فمنهم شَقيٌّ ومنهم سَعيدٌ
وهذا قبيحٌ وهذا حَسَن

[١٣٨] س: ما هو الدليل على أن الضمير في قوله تعالى ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴿٩٣﴾﴾ يعود إلى الله لا إلى العبد؟

ج: الضّميرُ في قولِه تعالى ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ ﴿٩٣﴾﴾ [سورة النحل] يعودُ إلى الله لا إلى العبد كما زعمت القَدريّةُ بدليلِ قولِه تعالى إخبارًا عن سيّدنا موسى ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ﴿١٥٥﴾﴾ [سورة الأعراف].

[١٣٩] س: اذكر ما تقولُهُ الطائفةُ المنتسِبةُ لأمين شيخو.

ج: الطَّائِفَةُ المنتسبة إلى أمِين شَيخُو الذينَ زَعِيمُهُمُ اليومَ عَبدُ الهادِي البَاني الذي هُوَ بدمَشْق جَعَلُوا مَشِيْئَةَ الله تَابِعَةً لمشِيئَةِ العَبْدِ حَيْثُ قَالوا إنْ شَاءَ العَبْدُ الاهتداء شاء الله له الهدى وإنْ شَاءَ العَبْدُ أَنْ يَضِلَّ أضَلَّهُ الله، فكَذَّبوا بالآيَةِ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة التكوير]، فَإِنْ حَاوَلَ بَعْضُهُم أنْ يَسْتَدِلَّ بآيَةٍ مِنَ القُرءانِ لضِدّ هَذَا المَعْنَى قيلَ لَهُ: القُرءانُ يَتَصادَقُ ولا يَتَناقَضُ فَليْسَ في القرءانِ ءايةٌ نَقِيضَ ءايةٍ ولَيْس هَذَا مِنْ بَاب النَّاسِخ والمَنْسُوخِ، لأَنَّ النَّسْخَ لا يَدْخُلُ

العَقائِدَ ولَيْسَ مُوجِبًا للتّنَاقُضِ فالنسخُ لا يدخلُ في الأخبارِ إنما هو في الأمرِ والنهي إنَّما النَّسْخُ بَيانُ انْتِهاءِ حُكْم ءايةٍ سَابقَةٍ بحُكْم ءايَةٍ لاحِقَةٍ، عَلَى أَنَّ هَذِه الفِئَةَ لا تُؤمِنُ بالنَّاسِخِ والمَنْسُوخِ.

[١٤٠] س: ماذا قالَ عليّ الرضا في القَدَر؟

ج: رَوَى الحَاكِمُ رحمَهُ الله تَعالى أنَّ عَليَّ الرّضَا ابنَ مُوْسَى الكَاظِم كانَ يَقْعُدُ في الرَّوْضَةِ وهُوَ شَابٌّ مُلْتَحِفٌ بمَطْرَفِ خَزّ فيَسْأَلُهُ النَّاسُ ومَشَايخُ العُلَمَاءِ في المَسْجِدِ، فسُئِلَ عن القَدرِ فقَالَ: قالَ الله عزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة القمر].

ثُمَّ قَالَ علي الرّضَا: كَانَ أَبي يَذْكُر عَن ءابَائِهِ أَنَّ أَمِيرَ المُؤمِنيْنَ عَليَّ بنَ أَبِي طالبٍ كانَ يَقُولُ: «إنَّ الله خَلقَ كُلَّ شَيءٍ بقَدَرٍ حَتَّى العَجْزَ والكَيْسَ وإلَيْهِ المشِيئَةُ وبِه الحَوْلُ والقُوّةُ».

[١٤١] س: اذكُر الردَّ على من ينسُب لله خلقَ الخيرِ دونَ الشرِ.

ج: العِبَادُ مُنْسَاقُونَ إلى فِعْلِ ما يَصْدُرُ عَنْهُم باختِيَارِهم لا بالإكْراهِ والجَبْرِ كالريشةِ المعلقةِ تُمِيلُها الرياحُ يمنةً ويسرةً كما تقولُ الجبريةُ.

ولَوْ لَمْ يَشَأ الله عِصْيَانَ العُصَاةِ وكُفْرَ الكَافِرِيْنَ وإيمانَ المؤمنينَ وطَاعَةَ الطّائِعيْنَ لَمَا خَلَقَ الجنَّةَ والنّارَ.

ومَنْ يَنْسُبُ لله تَعالى خَلْقَ الخَيْرِ دُوْنَ الشَّرّ فَقَدْ نَسَبَ إلى الله تعالى العَجْزَ ولَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ للعَالَم مُدَبّرانِ، مُدَبّرُ خَيْرٍ ومُدَبّرُ شرّ وهَذا كفرٌ وإشْراكٌ.

وهَذَا الرَّأْيُ السَّفيهُ من جِهَةٍ أخْرَى يَجْعَلُ الله تَعالى في مُلْكِه مَغْلُوبًا، لأنّهُ على حَسَبِ اعتِقَادِه الله تَعَالى أرَادَ الخَيْرَ فَقَط فيكُونُ قَدْ وقَعَ الشّرُّ مِنْ عَدُوّه إبْليسَ وأعْوانِه الكُفَّارِ رَغم إرادته.

ويَكْفُرُ مَنْ يَعْتَقِدُ هَذَا الرَّأْيَ لمخَالفَتِهِ قَولَه تَعالى ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ ﴿٢١﴾﴾ [سورة يوسف] أيْ لا أحَدَ يَمْنَعُ نَفَاذَ مَشِيْئَتِهِ.

وحُكْمُ مَنْ يَنْسُبُ إلى الله تعَالى الخَيرَ ويَنْسُبُ إلى العَبْدِ الشّرَّ أدبًا أنَّه لا حَرَجَ عليه، أمّا إذَا

اعْتَقَدَ أنَّ الله خَلَقَ الخَيْر دُوْنَ الشَّرّ فَحكمُهُ التَّكفِيرُ.

واعْلَمُوا رَحِمَكُمُ الله أنَّ الله تَعَالى إِذَا عَذَّبَ العَاصِيَ فَبِعَدْلِه مِنْ غَيْرِ ظُلْم، وَإِذَا أَثَابَ المُطِيعَ فَبِفَضْلِه مِنْ غيرِ وجُوبٍ عليه، لأَن الظُّلْمَ إنَّما يُتَصَوَّرُ مِمَّن لهُ ءامِرٌ ونَاهٍ ولا ءامِرَ لله ولا نَاهِيَ لَهُ، فَهُوَ يَتَصَرَّفُ في مُلْكِه كَما يَشَاءُ لأَنَّهُ خالِقُ الأشياءِ ومَالِكُها.

[١٤٢] س: اذكُر حديثًا فيه تكفيرُ من لم يُؤمنْ بالقَدَر.

ج: جَاءَ في الحَديثِ الصَّحِيح الذي رَوَاهُ الإمَامُ أحْمَدُ في مُسْنَدِه والإمَامُ أبُو دَاودَ في سُنَنِه وابن حبان عَن ابنِ الدَّيْلَميّ قَالَ: «أَتيْتُ أُبيَّ بنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ: يَا أبَا المنْذِرِ، إنَّهُ حَدَثَ في نَفْسِي شَىءٌ مِنْ هَذا القَدرِ فَحدّثْني لَعَلَّ الله يَنْفَعُني»، قَالَ: «**إنَّ الله لَوْ عَذَّبَ أهْلَ أرْضِهِ وسَمٰواتِه لعَذَّبَهُم وهُوَ غَيْرُ ظَالِم لَهُم وَلَوْ رَحِمَهُم كَانَت رَحْمَتُه خَيْرًا لَهُم مِنْ أعْمَالِهِم، ولَو أنفقْتَ مِثلَ أحُدٍ ذَهَبًا في سَبِيْل الله مَا قَبِلَهُ الله مِنْك حَتَّى تُؤمِنَ بالقَدَرِ، وتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لم يَكُن**

لِيُخْطِئَكَ ومَا أَخْطأَكَ لم يكنْ ليُصِيبَكَ ولو مِتّ على غيْرِ هَذا دَخَلْتَ النَّارَ».

قَالَ: ثُمَّ أَتَيتُ عَبدَ الله بنَ مَسْعُودٍ فَحدَّثَني مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيفَةَ بنَ اليَمانِ فحدّثَني مِثلَ ذلكَ، ثمَّ أتَيْتُ زَيْدَ بنَ ثابتٍ فحدّثني مثلَ ذلكَ عن النبيّ ﷺ.

[١٤٣] س: اذكُر حديث مسلم والبيهقي الذي يدلُّ على أن كلَّ شيء بتقديرِ الله وخلقهِ.

ج: رَوَى مُسْلِمٌ في صَحيحِهِ والبَيْهقيُّ في كِتَابِ القَدَرِ عنْ أبي الأسْوَد الدُّؤليّ قال: قالَ لي عِمْرانُ ابنُ الحُصَيْنِ: أَرأَيْتَ ما يَعْمَلُ النَّاسُ اليَومَ ويَكْدَحُونَ فِيهِ أشيءٌ قُضِيَ علَيهِم ومَضى عليهِم مِنْ قَدَرٍ قدْ سَبَقَ أوْ فِيمَا يُسْتَقبَلُونَ بهِ مِمَّا أتَاهُم به نَبيُّهُم وثَبَتَتِ الحُجَّةُ علَيْهِم؟ فقُلتُ: بَلْ شَيءٌ قُضِيَ عَليهم ومضَى عَلَيْهِم، قَالَ فَقَالَ: أفَلا يَكُونُ ظُلْمًا، قَالَ: فَفَزِعْتُ مِنْ ذلِكَ فَزَعًا شَدِيدًا وقُلْتُ: كُلُّ شَيءٍ خَلْقُهُ وَمِلْكُ يَدِهِ لا يُسْئَل عَمَّا يَفْعَلُ وهُمْ يُسْأَلُونَ، قال: فَقَالَ لي: يَرْحَمُكَ الله إنّي لَمْ أرِدْ بِمَا سَأَلْتُكَ إلا

لأَحْزِرَ عَقْلَكَ، إنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ مُزَيْنَةَ أَتَيا رَسُولَ الله فقَالا: يا رَسُولَ الله أرَأيتَ ما يَعْمَلُ النّاسُ اليومَ ويَكْدَحُونَ فِيه أشَيءٌ قُضِيَ عَلَيهم ومَضَى عَلَيهم مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبقَ أَوْ فِيمَا يُستَقْبَلُون بِه ممّا أتَاهم بهِ نبيُّهُم وثبَتَتِ الحُجَّةُ عَلَيهم؟ فَقَالَ: «**بَلْ شَيءٌ قُضِيَ عليهم ومضَى عَليْهِم**»، ومِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُ الله تَبارَكَ وتَعَالى ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [سورة الشمس].

[١٤٤] س: ما معنى الحديث الذي رواه مسلم من حديث أبي ذر عن النبي ﷺ عن الله عز وجل: «**فمن وجد خيرًا فليحمد الله ومن وجد غيرَ ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه**»؟

ج: أمّا الأوّلُ: وهو من وجدَ خيرًا فلأنَّ الله تعالى متفضّلٌ عليه بالإيجادِ والتَّوفيقِ من غيرِ وجوبٍ عليه، فليَحمد العبدُ ربَّهُ على تفضُّلِه عليه.

أمّا الثاني: وهو من وجَدَ شرًّا فلأَنّهُ تعالى أبرزَ بقدرَتِهِ ما كانَ من ميلِ العبدِ السيّءِ فمن أضلَّهُ الله فبعدلِهِ ومن هَدَاهُ فَبِفَضلِهِ.

[١٤٥] س: ما جوابُ من يسألُ إذا كان كُلُّ شيءٍ بتقديرِ الله لِمَ لَمْ يخلق الله الخلقَ ويدخلهم فورًا إلى الجنةِ والنار؟

ج: الجواب هو لو أنّ الله خلقَ الخلقَ وأدخَلَ فريقًا الجنَّةَ وفريقًا النَّارَ لسابِقِ علمِه أنّهم لا يؤمنونَ لكانَ شأنُ المعَذَّبِ منهم ما وصفَ الله بقولِه ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾ [سورة طه].

فأَرْسَلَ الله الرسُلَ مُبَشّرينَ ومُنذرِينَ ليُظْهِرَ ما في استِعْدادِ العَبْدِ مِنَ الطَّوْعِ والإباءِ فَيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بيّنةٍ ويَحْيَا مَنْ حَيَّ عن بَيّنَةٍ.

فأَخْبَرَنَا أنَّ قِسمًا مِنْ خَلْقِه مَصيرُهُمُ النّارُ بأعْمالِهِمُ التي يَعْمَلُونَ باخْتِيَارِهم، وكانَ تَعالى عَالِمًا بعِلْمهِ الأزَليّ أنَّهُم لا يُؤمنُونَ، قالَ تعالى ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [سورة السجدة] أخْبَرَ الله تَعالى في هذِه الآيةِ أنَّه قالَ في الأزلِ ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ

أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ وقَوْلُه صِدْقٌ لا يَتَخَلَّفُ لأنَّ التّخلُّفَ أي التّغيُّرَ كذِبٌ والكذِبُ مُحالٌ على الله.

[١٤٦] س: ما معنى قوله تعالى ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [سورة الأنعام]؟

ج: أي ولكنه لم يشأ هداية جميعكم إذ لم يسبق العلم بذلك، فالعباد منساقون إلى فعل ما يصدر عنهم باختيارهم لا بالإكراه والجبر.

[١٤٧] س: ما معنى حديث: «إذا ذُكِرَ القَدَرُ فَأَمْسِكوا»؟

ج: واعْلَمْ أنَّ مَا ذَكَرنَاهُ منْ أَمْرِ القَدرِ لَيْسَ مِنَ الخَوْضِ الذي نَهى النبيُّ ﷺ عنْهُ بقولِه: «إِذَا ذُكِرَ القَدَرُ فأَمْسِكُوا» رَواهُ الطَّبَرانيُّ، لأنَّ هَذَا تفسِيرٌ للقَدَرِ الذي ورَدَ بهِ النَّصُّ، وأَمَّا المنْهِيُّ عَنْهُ فَهُو الخَوْضُ فِيه للوُصُولِ إلى سِرّهِ، فَقَد رَوَى الشَّافِعيُّ والحافِظُ ابنُ عسَاكِرَ عن عليّ رَضِيَ الله عَنهُ أنَّهُ قَالَ للسَّائِلِ عَن القَدَرِ: «سِرُّ الله فلا تَتَكَلَّفْ»، فَلَمَّا أَلَحَّ عَلَيْهِ قَالَ له: «أَمَّا إِذْ أَبَيْتَ فَإِنَّهُ أمْرٌ بَيْنَ أمْرَيْنِ لا جَبْرٌ ولا تَفْوِيضٌ».

[١٤٨] س: اذكر الحديث الذي فيه ذم القدرية.

ج: اعْلَم أيضًا أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ ذَمَّ القَدَرِيَّةَ وهُمْ فِرَقٌ، فمِنْهُم مَنْ يَقُولُ: العبدُ خالِقٌ لجمِيْع فِعْلِه الاخْتِيَاريّ، ومنْهُم مَنْ يَقُولُ هُوَ خَالقُ الشَّرّ دُونَ الخيْرِ وكِلا الفرِيقيْنِ كفّارٌ، قالَ رسُولُ الله ﷺ: «**القَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ**» وَفي رِوايَةٍ لهذا الحديثِ: «**لِكُلّ أمَّةٍ مَجُوسٌ، ومَجُوسُ هذِهِ الأُمَّةِ الذينَ يَقُولونَ لا قَدَرَ**» رَواهُ أبُو داودَ عنْ حُذَيفَةَ عنِ النّبي ﷺ.

[١٤٩] س: اذكر الدليلَ على كُفْرِ المعتزلةِ القائلينَ إن الإنسانَ يخلقُ أفعاله.

ج: في كِتَابِ «القَدَرِ» للبَيهقِيّ وكتابِ «تَهذيب الآثَار» للإمامِ ابنِ جَريرِ الطَّبَريّ رحمهُما الله تعالى عن عبدِ الله بنِ عمرَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**صِنْفَان من أُمَّتي ليسَ لَهُما نَصِيبٌ في الإسْلامِ القَدَرِيَّةُ والمرجئَةُ**»(١).

---

(١) المرجئة هم طائفة انتسبوا للإسلام كانوا يعتقدون أن العبد المؤمن مهما عمِل من الكبائر ومات بلا توبة ليس عليه عذاب.

فالمعتزلةُ همُ القَدَرِيّةُ لأنَّهُم جَعلُوا الله والعَبدَ سَواسِيَةً بنَفْيِ القُدْرَةِ عَنْهُ عزَّ وجَلَّ على مَا يُقْدِرُ علَيه عَبْدَه، فَكأنَّهُم يُثْبتُونَ خَالِقِيْنَ في الحَقِيقةِ كَمَا أَثْبتَ المجُوسُ خَالِقَيْنِ خَالِقًا للخَيْرِ هوَ عندَهُم النّورُ وخالقًا للشّرّ هو عندَهُمُ الظَّلامُ.

[١٥٠] س: اذكر مَعْنَيي الهداية.

ج: الهِدَايَةُ على وَجْهَينِ:

أحدُهُما: إبَانَةُ الحَقّ والدُّعاءُ إلَيهِ، ونَصْبُ الأَدِلَّةِ عليه، وعلَى هذَا الوَجْهِ يَصِحُّ إضَافَةُ الهِدَايةِ إلى الرُّسُلِ وإلَى كُلّ دَاعٍ لله.

كَقَولِه تَعالى في رَسُولِه محمّدٍ ﷺ ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ۝٥٢﴾ [سورة الشورى].

وقَولِهِ تَعالى ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۝١٧﴾ [سورة فصلت].

والثّاني: مِنْ جِهَةِ هِدَايَةِ الله تعالى لِعبادِه، أيْ خَلْقِ الاهتداءِ في قُلوبِهم كقَوْلِه تعالى ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ۝١٢٥﴾ [سورة الأنعام].

والإضْلالُ خَلْقُ الضَّلالِ في قُلُوبِ أهْلِ الضَّلالِ.

فَالعبادُ مشيئَتُهم تابعةٌ لمشيئةِ الله قال تعالى ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الإنسان].

[١٥١] س: اذكر الدليلَ على أن تقديرَ الله لا يتغيَّر.

ج: اعْلَم أنَّ تَقْديرَ الله تَعالَى الأَزَليَّ لا يُغَيِّرُه شَىءٌ لا دَعْوةُ دَاعٍ ولا صَدَقَةُ متَصدّقٍ ولا صَلاةُ مُصَلٍّ ولا غيرُ ذلِكَ منَ الحسَنَاتِ بلْ لا بُدَّ أنْ يكُونَ الخَلْقُ علَى مَا قَدَّرَ لَهُم في الأزلِ مِنْ غيرِ أنْ يتَغيَّرَ ذَلِكَ.

[١٥٢] س: ما معنى قوله تعالى ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾؟

ج: أمَّا قَولُ الله تعالى ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة الرعد] فليسَ مَعناهُ أنَّ المحْوَ والإثْباتَ في تَقديرِ الله، بل المعنى في هذا أنَّ الله جَلَّ ثناؤه قد كتَبَ ما

يُصِيبُ العَبدَ من عبادِه من البلاءِ والحِرمَان والموتِ وغيرِ ذلكَ وأنَّه إنْ دعَا الله تَعالى أو أطاعَه في صِلةِ الرَّحم وغيرِها لم يُصِبْهُ ذلكَ البلاءُ ورزقَه كثيرًا أو عمَّرَهُ طويلًا، وكتَبَ في أمّ الكتابِ ما هُوَ كَائنٌ من الأَمْرين، فَالمحْوُ والإثْباتُ رَاجِعٌ إلى أحدِ الكتَابين كما أشَارَ إليه ابنُ عبّاسٍ، فقد روى البَيهقيُّ عن ابنِ عَبّاسٍ في قَولِ الله عَزَّ وجَلَّ ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ قال: يَمحُو الله ما يَشَاءُ من أحَدِ الكتابين، همَا كتَابان يمحُو الله ما يشَاءُ من أحَدِهما ويُثْبِتُ وعندَه أمُّ الكتابِ. اهـ.

والمحْوُ يَكُونُ في غيرِ الشَّقَاوةِ والسَّعَادةِ، فَقد رَوى البَيْهقيُّ أَيْضًا عَن مُجَاهِدٍ أنَّه قالَ في تفسيرِ قولِ الله تعالى ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [سورة الدخان] «يُفرَقُ في لَيْلةِ القَدْرِ مَا يكونُ في السَّنَةِ مِنْ رِزْقٍ أو مُصِيْبَةٍ، فأمَّا كِتَابُ الشَّقَاءِ والسَّعَادَةِ فَإنَّه ثَابتٌ لا يُغَيَّرُ». اهـ.

فَلِذَلِكَ لا يَصِحُّ عن رَسولِ الله ﷺ الدُّعاءُ الذي فيهِ: «إنْ كنتَ كَتبتَنِي في أمّ الكتابِ عِندَكَ شَقِيًا

فَامْحُ عَنّي اسْمَ الشَّقَاءِ وأَثبتْني عِندَكَ سَعيدًا، وإن كُنتَ كتبتني في أمّ الكِتاب مَحرُومًا مُقتَّرًا عليَّ رِزْقي فَامحُ عَنّي حِرْمَاني وتَقْتيرَ رِزْقي وأَثبتني عندَكَ سَعِيدًا مُوَفّقًا للخَيرِ، فإنّكَ تَقُولُ في كِتابِكَ ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ الْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة الرعد]» ولا مَا أشْبَهَهُ، وَلَم يَصِحَّ هذَا الدُّعاءُ أَيْضًا عن عُمَرَ ولا عن مُجاهِدٍ ولا عن غيرِهما منَ السَّلَفِ كَما يُعلَمُ ذلكَ مِن كِتَابِ «القَدَرِ» للبَيهقيّ.

[١٥٣] س: اذكر تقسيمَ الأمورِ إلى أربعة من حيث تعلق المشيئة والأمر.

ج: الأُمُورُ علَى أربَعةِ أقْسَام:

الأَوَّلُ: شَىءٌ شَاءَهُ الله وأَمرَ بِه: وهوَ إيمانُ المؤمِنِينَ وطاعَةُ الطائِعينَ.

والثّاني: شَىءٌ شَاءَهُ الله ولَمْ يأمُرْ بهِ: وهُو عِصْيَانُ العُصَاةِ وكُفْرُ الكَافِرينَ، إلا أنَّ الله لا يُحِبُّ الكُفْرَ مَع أنَّهُ خَلَقَهُ بمشِيئَته ولا يَرضَاهُ لعِبادِه، قَالَ تَعالى ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴿٧﴾﴾ [سورة الزمر].

والثَّالثُ: أَمرٌ لم يَشَأهُ اللهُ وأَمَرَ به: وهُوَ الإيمانُ بالنّسبةِ للكَافِرينَ الذين علمَ اللهُ أنهم يموتونَ على الكفرِ أُمِرُوا بالإيمانِ وَلم يَشأهُ لهُم.

والرَّابعُ: أمرٌ لم يَشَأه ولم يأمُرْ بِه: وهُوَ الكُفرُ بالنّسبةِ للأنبياءِ والملائِكةِ.

ومَنْ كانَ مؤمنًا بالقُرءانِ الكَريم فلْيَقِفْ عندَ قولِه تعالى ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣﴾ [سورة الأنبياء].

فَلا يُقَالُ كيفَ يعذّبُ العُصَاةَ على معَاصِيهِمُ التي شَاءَ وقُوعَها مِنهُم في الآخِرةِ.

[١٥٤] س: ما معنى توحيدِ الله في الفعل؟

ج: رُوِيَ عن الجُنَيدِ إمَام الصُّوفيّةِ العَارِفينَ عِندَما سُئِلَ عن التّوحيدِ أنّه قالَ: «اليَقينُ» ثمّ اسْتُفْسِرَ عن مَعناهُ فقَالَ: «إنّهُ لا مُكوّنَ لشَىءٍ منَ الأشْيَاءِ منَ الأعْيانِ والأَعْمالِ خَالِقٌ لهَا إلا الله تعالى»، قَالَ تَعالى ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [سورة الصافات].

وقَالَ الرّسولُ ﷺ: «إنَّ الله صَانِعُ كُلّ صَانعٍ

وصَنْعَتِه»، رواهُ الحاكمُ والبيهَقيُّ وابنُ حِبَّانَ من حَديثِ حُذيفةَ.

إذِ العبادُ لا يَخلقُونَ شَيئًا من أعْمالِهم وإنّما يكتَسِبُونَها، فقَد قالَ الله تعَالى ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ ١٦﴾ [سورة الرعد] تَمدَّحَ تعالى بذَلكَ لأنَّهُ شىءٌ يَختَصُّ به، وذَلكَ يقتَضي العُمومَ والشُّمولَ للأعيانِ والأعمالِ والحركاتِ والسَّكناتِ.

[١٥٥] س: اذكر الدليلَ على أن الله خالقُ الأعمالِ الاختياريةِ والاضطرارية.

ج: قَالَ تَعالى ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ [سورة الأنعام].

سَاقَ الله الصَّلاةَ والنُّسُكَ والمحْيَا والمماتَ في مَسَاقٍ وَاحدٍ وجعَلَها مِلْكًا لهُ. فكَما أنّ الله خالقُ الحياةِ والموتِ كَذَلكَ الله خالِقٌ للأَعْمالِ الاختيَاريّةِ كالصَّلاةِ والنُّسُكِ، والحَركاتِ الاضْطِراريّةِ من بابِ الأَوْلَى.

وإنَّما تَمتَازُ الأَعْمالُ الاختِياريةُ أي التي لنَا

فيها ميلٌ بكَونِها مكتسَبَةً لنَا فهِي مَحلُّ التّكلِيفِ.

والكَسْبُ الذي هو فِعْلُ العَبد وعلَيه يُثابُ أو يُؤاخَذُ في الآخرةِ هُو تَوجيهُ العَبدِ قصدَهُ وإرادتَه نحوَ العملِ أي يَصْرِف إليهِ قدرَته فَيخلُقُه الله عِنْدَ ذَلِكَ.

فَالعبدُ كاسبٌ لعَملِهِ والله تَعالى خَالقٌ لعملِ هذا العبدِ الذي هُو كَسْبٌ له، وهذه المسألة من أغْمضِ المسائلِ في هذَا العِلمِ.

[١٥٦] س: اذكر الدليلَ على كفر المعتزلةِ من كلامِ العلماء.

ج: يَكْفُرُ مَنْ يَقُولُ إنَّ العَبْدَ يَخْلُقُ أعْمالَهُ كالمعتَزِلَةِ، كَمَا قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِي الله عَنْهُ: «كلامُ القَدَريّةِ كُفرٌ» والقَدرِيّةُ همُ المعتَزلةُ.

قَالَ أبُو يُوسُفَ: «المُعتَزلَةُ زَنَادِقَةٌ».

وَوَصَفهُم أبُو مَنْصُورٍ التَّميميُّ في كِتَابِه «الفَرْقُ بيْنَ الفِرَقِ»: بِأنَّهُم مُشْرِكُونَ. وأَبُو مَنْصُورٍ هُوَ الذي قَالَ فِيهِ ابْنُ حَجَرٍ الهيتمي هَذِهِ العِبَارَةَ: «وقَالَ الإمَامُ الكَبِيرُ إمامُ أصْحابِنا أبُو مَنْصُورٍ البغدادِيُّ»، وهُوَ مِمَّن كَتَبَ عَنْهُ البَيْهقيُّ في الحديثِ.

[١٥٧] س: اذكر قولَ الإمامِ البغدادي في تكفيرِهِ المعتزلة.

ج: قَالَ الإمَامُ البَغْدادِيُّ في كِتَابِه «تَفْسِيرُ الأَسْماءِ والصّفَاتِ»: «أَصْحَابُنا أجْمَعُوا علَى تَكْفِير المعْتَزلَةِ» أي الذين يقولونَ: العبدُ يخلُق أفعالَه الاختيارية، وكذلكَ الذين يقولونَ فرضٌ على الله أن يفعلَ ما هو الأصلحُ للعبادِ.

وقَولُه: «أصْحابُنا» يَعنِي به الأشْعَرِيّةَ والشَّافِعيّةَ لأنَّه أشْعَرِيٌّ شَافِعِيٌّ بلْ هُوَ رَأسٌ كَبيرٌ في الشَّافِعيَّةِ كَما قالَ ابنُ حَجَر وَهُوَ إمَامٌ مُقَدَّمٌ في النَّقْلِ مَعْرُوفٌ بذَلِكَ بيْنَ الفُقَهاءِ والأُصُولِيّينَ والمؤَرّخِينَ الذينَ ألَّفُوا في الفِرَقِ، فَمن أَرادَ مَزِيدَ التَّأكُّد فليُطالِعْ كتُبَهُ هَذِه، فلا يُدَافَعُ نَقْلُهُ بكلامِ البَاجُوريّ وأمثالِه ممَّن هُوَ مِنْ قَبْلِ عَصْرِهِ أو بَعْدَهُ.

[١٥٨] س: على ماذا يُحملُ كلامُ مَنْ لم يكفِّر المعتزلة؟

ج: كلامُ بعضِ المتقدّمينَ مِنْ تَركِ تكفيرهم محمُولٌ على مثل بِشْرٍ المرِيسيّ والمأمون

العبَّاسيّ، فإنّ بِشْرًا كان مُوافقَهُم في القولِ بخلقِ القرءانِ وكفَّرهُم في القولِ بخلق الأفعالِ فلا يُحْكَم على جميع من انتسبَ إلى الاعتزالِ بحُكْمٍ واحِدٍ ويُحكَمُ على كلّ فَردٍ منهم بكونِهِ ضَالا.

[١٥٩] س: اذكر الدليلَ العقليَّ على فسادِ قولِ المعتزلة إن العبد يخلقُ أفعاله.

ج: قَالَ أَهْلُ الحقّ: «امتَنَع خَلْقُ العَبدِ لفِعْلِه لعُمُومِ قُدْرَةِ الله تَعالى وإرادَتِه وعِلْمِه».

وبَيانُ الدَّليل علَى ذَلكَ أنَّ قُدرَةَ الله عامَّةٌ وعلمه عام وإرادَته عامة فإنَّ نِسْبَتَها إلى الممكناتِ نِسْبَةٌ واحدَةٌ.

فإنَّ وجُودَ الممكنِ العَقليّ إنَّما احْتاجَ إلى القَادرِ من حَيثُ إمْكانُه وحدُوثُه.

فَلَو تَخصَّصَت صِفَاتُه هَذه ببَعضِ الممكِنَاتِ للَزِمَ اتّصَافُه تَعالَى بنَقِيضِ تِلكَ الصّفاتِ من الجهلِ والعَجْزِ وذَلكَ نَقْصٌ والنَّقْصُ علَيه مُحَالٌ. ولاقْتَضَى تَخصُّصُها مُخَصّصًا وتَعلَّقَ المخصّصُ بذَاتِ الوَاجِبِ الوُجُودِ وصِفَاتِه وذلكَ مُحالٌ. فَإذَا

ثَبتَ عمُومُ صِفَاتِه. فلَو أرادَ الله تعالى إيجادَ حادِثٍ وأرادَ العبدُ خلافَهُ ونَفذَ مُرادُ العَبْدِ دُونَ مُرادِ الله للَزِمَ المحالُ المفْروضُ في إثباتِ إلٰهينِ، وتَعدُّدُ الإلٰهِ محالٌ بالبُرهانِ، فما أدَّى إلى المحالِ محالٌ.

[١٦٠] س: اذكر الدليلَ على أن الجاهلَ في أصولِ الدينِ لا يُعْذَر.

ج: لا يُعْفَى الجاهِلُ ممّا ذكرناهُ من الأصولِ، ولا يُعْذَرُ فيما يقَعُ منه منَ الكُفْرِ لعدَمِ اهتمامِهِ بالدّيْن.

ولو كان الجهْلُ يُسْقِطُ المؤاخَذَةَ لكانَ الجهلُ خَيْرًا من العلم وهذا خِلافُ قولِه تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ ﴿٩﴾﴾ [سورة الزمر].

إلا أنَّ من كانَ قريبَ عهدٍ بإسلامٍ ونحوَه لا يكفرُ بإنكارِ فرضيَّةِ الصلاةِ وتحريمِ الخمرِ ونحوِ ذلك إن لم يكن سَمِعَ أن هذا من دين الإسلامِ.

[١٦١] س: ما هو الفرض الأول في حق الأهل أن يتعلموه؟

ج: الفرضُ الأولُ في حقّ الأهلِ تعليمُهُمْ أصولَ العقيدةِ كيْلا يقَعُوا في الكفرِ بجهلِهم بالعقيدةِ فإن اعتقدوا أنَّ الله جِسْمٌ نورانِيٌّ أبيَضُ فاستمَرُّوا بعدَ البلوغ على ذلكَ فماتوا عليه خُلّدوا في النارِ نتيجةَ اعتقاداتِهمُ الفاسدةِ.

قال الفُضَيلُ بنُ عِيَاضٍ: «لا يغُرَّنَّكَ كثرَةُ الهالكين»، فهل هذا الجهلُ في العقيدةِ هو نتيجةُ محبَّةِ الأهلِ لأبنائهم؟

[١٦٢] س: ما معنى قول الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الذاريات].

ج: جاءَ في تفسير الآيةِ: أي وما خلَقَ الله الجِنَّ والإنْسَ إلا ليأمُرَهم بعبادته.

وبعدَ أَن جاءَنا الهُدَى وهو الرّسولُ ﷺ وقامَت علينا الحجَّةُ به فلا عُذْرَ لنا، قال تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [سورة الإسراء].

فصلٌ في النُّبوة

ويتضمنُ ثلاثة عَشَرَ سؤالا

[١٦٣] س: ما معنى النبوة؟

ج: اشتِقاقُها من النّبَإ أي الخبَرِ لأنّ النُّبُوّةَ إخْبارٌ عن الله، أو من النَّبْوَةِ وهي الرِّفْعَةُ، فالنَّبيُّ على الأوّلِ فعِيلٌ بمعنى فاعلٍ لأنَّهُ يُخبِرُ عن الله بما يُوْحَى إليه، أو فعِيلٌ بمعنى مفعولٍ أي مُخْبَرٌ عن الله أي يُخبِرُهُ المَلَكُ عن الله، فالنبوَّةُ جائزةٌ عقلًا ليست مستحيلةً.

وإنَّ الله تعالى بعثَ الأنبياءَ رحمةً للعبادِ إذْ ليسَ في العقلِ ما يُستَغْنَى به عنهم لأنّ العقلَ لا يَسْتَقِلُّ بمعرفةِ الأشياءِ المنْجِيَةِ في الآخرةِ.

[١٦٤] س: ما الفرقُ بين النبيّ والرسول؟

ج: اعلم أن النبيَّ والرَّسولَ يشتركانِ في الوَحي، فكلٌّ قد أوْحَى الله إليه بشرعٍ يَعْمَلُ به لتبليغِه للنّاسِ.

غيرَ أنّ الرسولَ يأتي بنسخِ بعضِ شرعِ مَن قبلَه أو بِشَرْعٍ جديدٍ.

والنَّبيُّ غيرُ الرّسولِ يُوحَى إليه ليتّبعَ شرعَ رسولٍ قبلَهُ ليُبلّغَهُ.

فلذلكَ قالَ العلماء: «كلُّ رسولٍ نبيٌّ وليس كلُّ نبيٍّ رسولا».

ثمّ أيضًا يفترقان في أنّ الرّسالةَ يوصَفُ بها المَلَكُ والبشرُ، والنبوةَ لا تكونُ إلا في البشرِ. وَلا يَصِحُّ قَوْلُ بَعْضِهِمْ إِنَّ النَّبِيَّ لَمْ يُؤْمَرْ بِالتَّبْلِيغِ.

[١٦٥] س: اذكر الصفاتِ الواجبةَ للأنبياءِ والمستحيلةَ عليهم.

ج: يجبُ للأنبياءِ الصّدْقُ ويستحيلُ عليهم الكَذبُ، وتجِبُ لهمُ الفَطَانَةُ ويستحيلُ عليهمُ البَلادَةُ والغَباوةُ، وتجبُ لهم الأَمَانَةُ.

فالأنبياءُ سالمونَ من الكفرِ والكبائرِ وصغائرِ الخِسَّةِ وهذه هي العِصْمَةُ الواجبةُ لهم، ويستحيلُ عليهم الخيانةُ، ويجبُ لهم الصّيانةُ فيستحيلُ عليهم الرَّذالَةُ والسَّفاهةُ والجُبنُ، وكلُّ ما يُنَفّر عَنْ قبُولِ الدَّعْوَةِ مِنْهُم، وَكَذلكَ يَستحيلُ عَلَيْهِم كلُّ مرَضٍ مُنَفّرٍ.

فمن نسبَ إليهِمُ الكذبَ أو الخيانةَ أو الرَّذالةَ أو السَّفاهةَ أو الجُبْنَ أو نحوَ ذلك فقد كَفَرَ.

[١٦٦] س: ما تعريفُ المعجزة؟

ج: اعلم أنَّ السَّبيلَ إلى معرفةِ النَّبي المُعجزةُ، وهي أمرٌ خارِقٌ للعادةِ يأتي على وَفْقِ دَعْوَى من ادَّعَوا النُّبوة، سَالِمٌ مِنَ المُعَارَضَةِ بالمِثلِ.

فما كانَ من الأمورِ عجيبًا ولم يكن خارقًا للعادةِ فليس بمعجزةٍ.

وكذلكَ ما كانَ خارقًا لكنّه لم يقترن بدعوَى النّبوةِ كالخوارقِ التي تظهرُ على أيدي الأولياءِ أتباعِ الأنبياءِ فإنَّهُ ليسَ بمعجزةٍ بل يُسَمَّى كرامةً.

وكذلك ليسَ من المعجزةِ ما يُستَطاعُ معارضَتُهُ بالمثلِ كالسّحرِ فإنّهُ يُعارَضُ بسِحْرٍ مثلِه.

[١٦٧] س: اذكر قسمَي المعجزة.

ج: المعجزةُ قِسْمَانِ:

قسمٌ يقعُ بعدَ اقتراحٍ مِنَ الناسِ على الذي ادَّعَى النّبوةَ.

وقسمٌ يقعُ مِن غيرِ اقتراحٍ.

فالأَوّلُ نحوُ ناقةِ صالحٍ التي خَرَجَت من الصَّخرةِ. اقترحَ قومُه عليهِ ذلكَ بقولِهم: إن كنتَ

نبيًّا مبعُوثًا إلينا لِنُؤمِنَ بكَ فأخرجْ لنا من هذه الصَّخرةِ ناقةً وفصيلَها فأخرجَ لهم ناقةً معَها فصِيلُها (أي ولدها) فاندهَشُوا فآمنوا به.

لأنّهُ لو كَانَ كاذبًا في قولِهِ إنَّ الله أرسلَهُ لم يأتِ بهذا الأمرِ العجيبِ الخارقِ للعادةِ الذي لم يَستطع أحدٌ من النَّاسِ أن يعارضَهُ بمثلِ ما أتى به، فَثَبَتَت الحُجَّةُ علَيْهِم.

ولا يَسَعُهُم إلا الإذعانُ والتَّصديقُ لأنَّ العقلَ يُوجبُ تصدِيقَ من أتَى بمثلِ هذا الأمرِ الذي لا يُسْتَطاعُ معارضَتُهُ بالمثل مِن قِبَلِ المعارضينَ.

فمن لم يُذعِنْ وعاندَ يُعَدُّ مُهْدِرًا لقِيمةِ البُرهانِ العقليّ.

[١٦٨] س: اذكر أمثلةً لمعجزاتٍ حَصَلَتْ لأنبياءَ قبلَ سيدِنا محمد ﷺ.

ج: من أمثِلَةِ المعجزاتِ التي حَصَلَتْ لمن قبلَ محمَّدٍ عدَمُ تأثيرِ النّار العظيمةِ على إبراهيمَ حيثُ لم تُحرِقْهُ ولا ثيابَهُ.

ومنها انقلابُ عَصَا موسَى ثُعبانًا حَقيقيًّا ثم

عودُها إلى حالتِها بعدَ أن اعترفَ السحَرةُ الذين أحضرَهُم فِرعونُ لمعارضتِه وأذعَنُوا فآمنوا بالله وكفروا بفرعونَ واعترَفُوا لموسى بأنَّهُ صادِقٌ فيما جَاءَ بهِ.

ومنها ما ظَهَرَ للمسيحِ من إحياءِ الموتَى وذلك لا يُسْتَطاعُ مُعارضَتُه بالمِثلِ فلم تسْتَطِعِ اليَهودُ الذين كانوا مُولَعِينَ بتكذيبهِ وحَريصينَ على الافتراءِ عليه أن يعارِضُوهُ بالمِثلِ.

وقد أتى أيضًا بعجيبَةٍ أخرى عظيمةٍ وهي إبراءُ الأكْمَهِ فلم يستطِعْ أحَدٌ من أهلِ عصرِهِ معارضَتَهُ بالمِثلِ مع تَوفُّرِ الطِبّ في ذلك العصرِ.

فذلك دليلٌ على صِدْقِهِ في كلّ ما يُخبِرُ به من وجوبِ عبادَةِ الخالقِ وحدَهُ من غيرِ إشراكٍ بهِ ووجوبِ متابعتِه في الأعمالِ التي يأمُرُهم بها.

[١٦٩] س: اذكر بعضَ معجزاتِ سيدِنا محمد ﷺ.

ج: أمّا سيدنا محمَّدٌ ﷺ فمِن معجزاتِهِ صلى الله عليه وعلى جميعِ إخوانِه الأنبياءِ:

١ - حنِيْنُ الجِذْعِ، وَذَلِكَ أنَّ النبيَّ ﷺ كان يَسْتَنِدُ حينَ يَخطُبُ إلى جِذْعِ نَخْلٍ في مسجِده قبلَ أن يُعمَلَ له المنبرُ، فلمَّا عُمِلَ له المِنْبَرُ صَعِدَ ﷺ عليه فبدأَ بالخُطبَةِ وهو قائمٌ على المنبرِ فحَنَّ الجِذْعُ حتّى سمِعَ حنِينَه مَنْ في المسجدِ، فنزلَ رسولُ الله ﷺ فالتزَمَهُ - أي ضَمَّه واعتنقَه - فسَكَتَ.

٢ - ومن معجزاتِهِ ﷺ إنطاقُ العَجْماءِ أي البهيمةِ. روى الإمامُ أحمدُ والبيهقيُّ بإسنادٍ صحيح من حديثِ يَعْلَى بنِ مُرَّةَ الثَّقَفيّ قال: بينما نسيرُ معَ النبي ﷺ إذ مرَّ بنا بعيرٌ يُسْنَى عليه[١] فلمَّا رءاهُ البعيرُ جَرْجَرَ[٢] فوضَعَ جِرانَهُ[٣] فوقَفَ عليه النبيُّ ﷺ، فقال: «**أينَ صاحبُ هذا البعيرِ**»؟ فجاءَهُ فقالَ: «**بِعنِيْهِ**»، فقال: بل نَهبُهُ لكَ يا رسولَ الله وإنَّه لأهلِ بيتٍ ما لَهُمْ مَعِيشةٌ غيرُه، فقال النبيُّ: «**أمّا ما ذكرتَ من أمرِه فإنّه شكَا كثرةَ العملِ وقِلَّة**

(١) أي يحمل عليه الماء.
(٢) أي أصدرَ صوتًا من حلقه.
(٣) أي مقدَّم عنقه.

العَلفِ فأحْسِنُوا إليه».

٣ - ومنها تفجُّرُ الماءِ من بينِ أصابعِهِ بالمشاهدةِ في عدَّةِ مواطِنَ في مشاهِدَ عظيمةٍ وَرَدَتْ من طرُقٍ كثيرةٍ يُفيدُ مجموعُها العِلْمَ القطعيَّ المستفادَ من التَّواترِ المعنويّ[١] ولم يَحصُلْ لغيرِ نبيّنا حيثُ نبعَ من عَظْمِهِ وعصَبِهِ ولَحمِهِ ودَمِهِ وهو أبْلَغُ من تفجُّرِ المياهِ من الحجرِ الذي ضرَبَهُ موسَى لأنّ خروجَ الماءِ من الحجارةِ معهودٌ بخلافِهِ من بين اللحمِ والدَّمِ. رواهُ جابرٌ وأنسٌ وابنُ مسعودٍ وابنُ عبّاسٍ وأبو ليلى الأنصاريُّ وأبو رافعٍ.

وقَد أخرجَ الشَّيخانِ من حديث أنسٍ بِلَفْظِ: «رأيتُ رسولَ الله ﷺ وقد حانَتْ صَلاةُ العَصْرِ والتمَسَ الوَضُوءَ[٢] فلَم يَجِدُوهُ فأُتِيَ رسولُ الله ﷺ بوَضُوءٍ فَوَضَعَ يدَهُ في ذلكَ الإناءِ فأمَرَ النَّاسَ أن يتوضَّؤوا فرأيتُ الماءَ يَنْبُعُ من بَيْنِ أصَابعِهِ فَتوضَّأ النَّاسُ حتَّى توضَّؤوا منْ عِنْدِ ءاخِرِهِم».

---

(١) أي لم يتفقوا على لفظ واحد.
(٢) أي طلب ماء الوضوء.

وفي روايةٍ للبُخاريّ قالَ الرَّاوِي لأَنَسٍ: كَم كُنْتُم؟ قَالَ: ثلاثمِائةٍ.

٤ - ومن مُعجزاتِه: ردُّ عَينِ قتادَةَ بعدَ انقِلاعِهَا:

فقَد روى البَيهقيُّ في الدّلائلِ عن قَتادَةَ بنِ النُّعمانِ أنّه أُصيبَت عَيْنُه يَومَ بَدرٍ فسَالَت حَدَقَتُه على وجْنَتِه فأرادُوا أنْ يقْطَعُوها فسَألُوا رسُول الله فَقالَ: «لا»، فدَعَا بهِ فغَمزَ حدَقَتَهُ براحَتِه، فكَانَ لا يَدْرِي أيَّ عيْنَيهِ أُصِيبَت. اهـ.

٥ - ومن مُعْجزاتِه تَسْبيحُ الطَّعَامِ في يَده أخْرجَ البُخاريُّ من حَديثِ ابنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «كنَّا نأكلُ معَ النّبي ﷺ الطَّعامَ ونَحنُ نَسْمعُ تَسْبيحَ الطَّعام». وهَذه المعجزاتُ أعجَبُ من إحْياءِ الموتَى الذي هو أحَدُ مُعْجِزاتِ المسِيحِ.

[١٧٠] س: اذكر الدليلَ على ثبوتِ معجزةِ الإسراءِ للرسول ﷺ.

ج: الإسْراءُ ثَبتَ بنَصّ القُرءانِ والحديثِ الصَّحيح فيَجبُ الإيمانُ بأنَّه ﷺ أسْرَى الله به ليلًا

من مكةَ إلى المسجدِ الأقصى.

فالإسْراءُ قَد جاءَ فيه قَولُه تَعالى ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ ﴿١﴾﴾ [سورة الإسراء].

[١٧١] س: اذكر الدليلَ على ثبوت المعراج للرسول ﷺ.

ج: أمَّا المعْراجُ فقدْ ثبتَ بنَصّ الأحَاديثِ. وأمَّا القرءانُ فلم ينُصَّ عليهِ نصًّا صَريحًا لا يَحتمِلُ تأويْلًا لكنَّهُ وردَ فيه مَا يَكَادُ يَكُونُ نَصًّا صَرِيحًا.

[١٧٢] س: ما الرد على من قال: قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [سورة النجم] يحتمل أن يكون رؤية منامية؟

ج: قلْنَا: هذَا تأويلٌ ولا يَسُوغُ تأْويلُ النَّصّ أي إخراجُهُ عن ظَاهرِهِ لغيرِ دليلٍ عَقليّ قاطِعٍ أو سَمْعِيّ ثابتٍ كما قالَهُ الرَّازِيُّ في «المحْصُولِ» وغيرُهُ من الأصوليينَ. ولَيْسَ هنَا دليلٌ على ذلكَ.

وقَد روى مُسْلمٌ عن أنس بن مَالكٍ رضيَ الله عنهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «أُتِيتُ بالبُراقِ[١] وهوَ دابَّةٌ أبيَضُ طَويلٌ فَوقَ الحمارِ ودُوْنَ البَغْلِ يضَعُ حافِرَهُ عندَ منتَهَى طرْفِهِ[٢]، قالَ: فركِبْتُه حتّى أتيتُ بيتَ المقْدِسِ فَربَطتُهُ بالحلَقَةِ التي يَربِطُ بها الأنبياءُ، قال: ثم دخَلْتُ المسجِدَ فَصلَّيتُ فيه ركْعتينِ، ثمَّ خَرجْتُ فجاءَني جبريلُ عليه السلام بإناءٍ من خَمرٍ[٣] وإنَاءٍ منْ لَبنٍ[٤] فاختَرتُ اللّبَنَ، فقالَ جبريلُ عليه السلامُ: «اختَرْتَ الفِطْرَةَ[٥]» قال: ثمّ عَرَجَ بنَا إلى السَّماءِ....»، إلى ءاخِرِ الحديثِ.

وفي الحديثِ دَليلٌ على أنَّ الإسْراءَ والمعْراجَ كانَا في ليلةٍ واحدةٍ برُوْحِهِ وجَسَدِهِ يقَظَةً إذْ لم يَقلْ أحَدٌ إنَّهُ وَصلَ إلى بَيْتِ المقْدِسِ ثُمَّ نَامَ.

---

(١) وهو من دَوابِّ الجنة.
(٢) أي حيثُ يصل نظرهُ يضع رجْلَه، كلّ خَطوة من خطواته تسع إلى مدّ البصر، هذا أمر البراق من العجائب المخالفة للعادة.
(٣) أي من خمرِ الجنَّة اللذيذ الذي لا يُسْكِرُ ولا يُصْدِعُ الرأسَ.
(٤) أي حليب.
(٥) أي تمسَّكْتَ بالدِينِ.

[١٧٣] س: تكلَّم عن رؤيةِ الرسولِ ربه ليلة المعراج.

ج: رُؤْيةُ النبي لربّه ليلة المعراج فقد روَى الطَّبرانيُّ في المُعْجَمِ الأَوْسطِ بإسْنادٍ قَويّ كما قالَ الحافظُ ابن حجر عن ابنِ عَبّاسٍ رضي الله عنْهما: «رأى محمَّدٌ ربَّهُ مَرّتينِ».

وروى ابنُ خُزَيْمةَ بإسْنادٍ قَوِيّ: «رأى محمَّدٌ رَبَّهُ».

وَالمرادُ أنّه رءاهُ بقَلْبِهِ بدَليلِ حَديثِ مُسْلمٍ من طَريقِ أبي العاليةِ عن ابنِ عَبَّاسٍ في قولِهِ تعالى ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [سورة النجم]، قال: «رَأى رَبَّهُ بفؤادِه مرَّتينِ».

تَنْبِيهٌ: قالَ الغَزاليُّ في إحياءِ علومِ الدّينِ: «الصَّحيحُ أنَّ النّبيَّ لم يرَ ربَّهُ لَيلَةَ المعْراجِ»، ومرادُه أنه لم يرَهُ بِعَيْنِه إذْ لم يَثبُتْ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ رأيْتُه بعَيْني ولا أنَّ أحدًا من الصَّحابةِ أو التّابعينَ أو أتْباعِهم قال: رءاهُ بعَيْنَي رأسِه.

[١٧٤] س: ما وجهُ دلالةِ المعجزة على صِدقِ النبيّ؟

ج: الأَمرُ الخارقُ الذي يَظهرُ على يدِ من ادَّعَوا النُّبُوَّةَ مع التَّحدي مع عدَمِ معارضَتِه بالمِثلِ نازِلٌ مَنْزِلَةَ قَولِ الله: صدَقَ عَبْدِي في كُلّ مَا يُبَلّغُ عنّي، أي لولا أنَّه صادِقٌ في دَعْواهُ لما أَظْهَرَ الله لَهُ هذه المعْجِزَةَ، فكأنَّ الله تعالى قالَ صَدَقَ عبْدِي هذا الذي ادّعى النُّبُوة في دَعْواهُ لأَنّي أَظْهرتُ له هذه المعجزةَ، لأنَّ الذي يُصَدّقُ الكاذِبَ كاذبٌ، والله يَسْتحيلُ عليه الكَذبُ. فدَلَّ ذلكَ على أنَّ الله إنَّما خلَقَهُ لتَصْديقه، إذْ كلُّ عَاقِلٍ يَعْلَمُ أَنّ إحْياءَ الموتى وقلبَ العَصا ثُعْبانًا وإخْراجَ نَاقةٍ من صَخْرةٍ صَمَّاءَ لَيسَ بمعْتادٍ.

[١٧٥] س: كيف يحصُلُ العِلمُ بالمعجزةِ؟

ج: العلمُ بالمعجزاتِ يحصُلُ:

بالمشاهدةِ لمن شاهَدوها، وببلوغِ خَبَرِهَا بطريقِ التَّواتُرِ في حَقّ من لم يَشهَدهَا، وذلك كعِلمِنَا بالبلدانِ النَّائيةِ والحوادثِ التَّاريخيّةِ الثّابتةِ

الواقعةِ لمن قَبلنا من الملوكِ والأُمَمِ، والخبرُ المتواترُ يقومُ مقامَ المشاهدةِ، فَوَجَبَ الإذعانُ لمن أتى بها عقلًا كما أَنَّهُ واجبٌ شرعًا.

عَذابُ القبرِ ونعيمُهُ وما يكونُ بعدَ ذلكَ

ويتضمن ستةً وعشرين سؤالا

[١٧٦] س: اذكر دليلَ ثبوتِ عذابِ القبر.

ج: قال الله تعالى ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة غافر].

وقالَ تعالى ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴿١٢٤﴾﴾ [سورة طه].

فَهاتانِ الآيتانِ وارِدَتانِ في عَذابِ القَبْرِ للكُفَّار.

[١٧٧] س: اذكر حال عصاة المسلمين من أهل الكبائر الذين ماتوا قبل التوبة.

ج: أمّا عُصاةُ المسْلمينَ من أهْلِ الكَبائرِ الذينَ ماتُوا قبلَ التّوبَةِ فهُم صِنْفانِ: صِنْفٌ يُعْفِيهِمُ الله من عذَابِ القَبْرِ وصِنفٌ يُعَذّبُهمْ ثمَّ يَنقطِعُ عَنهُم ويُؤَخّرُ لهم بقيَّةَ عذابِهم إلى الآخرةِ.

فَقد رَوى البُخاريُّ ومُسلمٌ والترمذيُّ وأبو دَاودَ والنَّسائيُّ عن ابنِ عَبّاسٍ مَرَّ رسُولُ الله على قَبرينِ فَقالَ: **«إنَّهما ليُعَذَّبانِ ومَا يُعذَّبانِ في كَبيرِ إثْم»**، قال: **«بَلَى، أمَّا أحدُهُما فكانَ يمْشِي بالنّمِيمةِ، وأمّا الآخرُ فكَانَ لا يَسْتَتِرُ من البَوْلِ»**، ثمّ دَعا

بعَسِيْبٍ رَطْبٍ فشَقَّهُ اثنينِ فغَرسَ على هذا واحدًا وعلى هَذا واحدًا، ثمَّ قالَ: «**لعَلَّهُ يُخَفَّفُ عنهما**».

[١٧٨] س: ما الدليلُ على عودِ الروحِ إلى الجسدِ في القبرِ؟

ج: اعلَم أنَّه ثَبتَ في الأَخْبارِ الصَّحيحةِ عَودُ الرُّوحِ إلى الجسَدِ في القَبْرِ كحدِيْثِ البَراءِ بنِ عازِبٍ الذي رواهُ الحاكمُ والبَيهقيُّ وأَبُو عوَانَةَ وصَحَّحهُ غَيْرُ وَاحدٍ، وحديثِ ابنِ عبّاسٍ مَرفُوعًا: «**مَا مِن أَحَدٍ يَمُرُّ بقَبْرِ أخِيهِ المؤمنِ كَانَ يَعرفهُ في الدُّنيا فيُسَلّمُ علَيه إلا عَرَفَهُ وَردَّ عليهِ السَّلامَ**». رواهُ ابنُ عبدِ البَرّ وعبدُ الحقّ الإشْبِيليُّ وصَحَّحهُ.

فيَسْتَلزِمُ ذلكَ رجُوعَ الرُّوحِ إلى البَدنِ كلّهِ وذلك ظاهِرُ الحديثِ أو إلى بعضِهِ. ويتأَكَّدُ عَودُ الحياةِ في القَبْرِ إلى الجسَدِ مَزيدَ تأكُّدٍ في حقّ الأنبياءِ، فإنّه ورَدَ منْ حديثِ أنَسٍ عن النبيّ ﷺ: «**الأَنْبياءُ أحْياءُ في قبُورهم يُصَلُّونَ**» صَحّحهُ البيهقيُّ وأقرَّهُ الحافِظُ.

[١٧٩] س: اذكر دليلًا ءاخر على عود الروح إلى الجسد في القبر.

ج: رَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عن أَنَسٍ عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «إنَّ العَبْدَ إذَا وُضِعَ في قَبْرِه وتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحابهُ وإنَّه لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهم إذَا انْصرَفُوا أتَاهُ مَلَكانِ فيُقْعِدَانِه فيقولانِ: ما كنْتَ تَقُولُ في هَذا الرَّجُلِ محمَّدٍ؟ فأمَّا المؤمنُ - أي الكاملُ - فيقولُ: أشْهَدُ أنَّه عَبْدُ الله ورَسُولُهُ، فَيُقالُ لهُ: انْظُرْ إلى مَقْعَدِكَ من النَّارِ أبدلَكَ الله به مَقْعَدًا من الجنَّةِ فَيراهُمَا جَميعًا. وأمَّا الكَافِرُ أو المنافِقُ فيَقُول: لا أدْرِي كنتُ أقولُ ما يقولُ النَّاسُ فيه، فيُقالُ: لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ، ثمّ يُضرَبُ بمِطرقةٍ من حَدِيْدٍ بينَ أُذُنَيْه فيَصِيحُ صَيْحةً يَسْمَعُها مَنْ يليهِ إلا الثَّقَلَينِ».

[١٨٠] س: ما الدليلُ على وجودِ فتّاني القبرِ منكرٍ ونكيرٍ؟

ج: عَن عَبدِ الله بنِ عَمْرو أنَّ رسُولَ الله ﷺ ذكَرَ فَتّانَي القَبْرِ فقالَ عُمَرُ بنُ الخطَّابِ رضيَ الله عنهُ: أتُرَدُّ علينا عقُولُنا يا رسُولَ الله، قال: «نَعم كهَيئتِكُمُ اليومَ»، قال: فبفِيهِ الحجَرُ.

وعَن أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رَسُولُ الله

ﷺ: «إذا قُبِرَ الميتُ أو الإنسانُ أتاهُ مَلَكانِ أسْوَدانِ أزْرَقانِ يُقالُ لأحدِهما مُنْكَرٌ وللآخَرِ نكِيرٌ فيَقولانِ لهُ: ما كنتَ تقُولُ في هذَا الرَّجُلِ محمَّدٍ؟ فَهوَ قائلٌ ما كَانَ يقُولُ. فَإنْ كَانَ مؤْمِنًا قَالَ: هُو عَبدُ الله ورسُولُه أشْهدُ أن لا إلـهَ إلا الله وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُهُ ورسولُه فيَقُولانِ لَهُ: إنْ كنَّا لنَعْلَمُ أنَّكَ لتَقُولُ ذَلكَ، ثمَّ يُفسَحُ لهُ في قَبْرِه سَبْعينَ ذِراعًا في سَبْعينَ ذِراعًا ويُنَوَّرُ لَهُ فيهِ، فَيُقالُ لَهُ: نَمْ، فينَامُ كنَومِ العَرُوسِ الذي لا يُوقِظُه إلا أحَبُّ أهْلِه حتَّى يَبْعثَهُ الله من مَضْجَعِه ذَلكَ، فإن كانَ مُنافقًا قالَ: لا أدْري، كنتُ أسْمَعُ الناسَ يقولونَ شَيئًا فكنتُ أقولُهُ، فيَقُولانِ لهُ: إنْ كنَّا لنعلمُ أنّكَ تَقُولُ ذلكَ، ثُم يُقالُ للأَرْضِ التَئِمي فتَلْتَئِمُ عليه حتَّى تَختلفَ أضْلاعُهُ فلا يَزَالُ مُعَذَّبًا حتّى يبْعثَهُ الله تعالى من مَضجَعِهِ ذلكَ».

والحدِيْثانِ رَواهُما ابن حِبَّانَ وصحَّحَهُما، ففي الأوَّلِ منهُما إثْباتُ عَوْدِ الرُّوحِ إلى الجسَدِ في القَبْرِ والإحْسَاسِ، وفي الثَّاني إثْباتُ استِمْرارِ الرُّوحِ في القَبْرِ وإثْباتُ النَّومِ وذلكَ ما لم يَبْلَ الجسَدُ.

[١٨١] س: لمن يكون هذا النعيم في القبر؟

ج: هَذَا النَّعيمُ للمؤمنِ القَويِّ وهوَ الذي يؤدّي الفرائِضَ ويَجتَنِبُ المعَاصيَ، وهوَ الذي قالَ رسولُ الله ﷺ فيه: «**الدُّنْيا سِجْنُ المؤمنِ وسَنَتُهُ فإذَا فَارقَ الدُّنيا فارَقَ السّجْنَ والسَّنَةَ**»، حديثٌ صَحيحٌ أخرجَه ابنُ حِبَّانَ، يعني المؤمنَ الكَاملَ.

[١٨٢] س: أينَ تكونُ الأرواحُ بعد بِلَى الأجساد؟

ج: إذَا بَلِيَ الجسَدُ كُلُّه ولم يَبْقَ إلا عَجْبُ الذّنَبِ يكونُ رُوحُ المؤمِنِ التَّقيّ في الجنّةِ وتكونُ أرْوَاحُ عُصَاةِ المسلمينَ أهْلِ الكبَائِرِ الذينَ ماتُوا بلا تَوبةٍ بَعدَ بِلَى الجسَد فيما بَينَ السَّماءِ والأَرْضِ، وبعضُهُم في السَّماءِ الأُولَى. وتكونُ أرْواحُ الكفَّارِ بعدَ بِلَى الجَسَدِ في سِجّينَ وهو مكانٌ في الأَرْضِ السُّفْلى، وأَمَّا الشُّهداءُ فتَصعَدُ أرواحُهم فَورًا إلى الجنّةِ.

[١٨٣] س: من يستثنى من السؤال في القبر؟

ج: يُسْتَثْنَى من السُّؤالِ الأَنْبياءُ والشُّهداءُ أي

شهداءُ المعركة وكذَلِكَ الطِفْلُ أي الذي ماتَ دُونَ البُلوغِ.

[١٨٤] س: فَإن قيلَ: كَيفَ يُمكِنُ سؤالُ عَددٍ كثيرٍ من الأَمْواتِ؟

ج: الجوابُ ما قالَ الحَلِيميُّ:

«إنَّ الأشْبَهَ أن يكُونَ ملائِكةُ السؤالِ جَماعَةً كثيرةً يُسَمَّى بَعضُهم مُنكَرًا وبَعضُهُم نكيرًا فيُبْعَثُ إلى كلِّ مَيّتٍ اثنانِ مِنهُم».

[١٨٥] س: ما حكمُ منكرِ عذابِ القبرِ؟

ج: يَكفُرُ مُنكِرُ عذَابِ القَبْرِ لقَولِ الله ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة غافر] بخِلافِ مُنكرِ سُؤالِهِ فلا يكَفَّرُ إلا أن يَكونَ على وجْهِ العِنادِ.

[١٨٦] س: تكلمْ عن البعثِ.

ج: البَعْثُ حَقٌّ، وهوَ خُروجُ الموتَى من القُبورِ بعدَ إعادَةِ الجسَدِ الذي أكلَهُ التُّرابُ إن كانَ من

الأجسَادِ التي يأكُلُها التُّرابُ وهي أجسَادُ غَيرِ الأَنْبياءِ وشُهداءِ المعركةِ وبَعضِ الأولياءِ لِمَا تواتَرَ مِن مُشَاهدَةِ بعضِ الأولياءِ.

وأوَّلُ مَن يَنْشَقُّ عنهُ القَبرُ سيِّدُنا محمّدٌ ﷺ، وأهلُ مكّةَ والمدينةِ والطّائفِ من أوَّلِ من يُبْعَثُ.

[١٨٧] س: تكلم عن الحشر.

ج: الحَشْرُ حَقٌّ وهو أن يُجمَعُوا بعدَ البَعثِ إلى مكانٍ، ويكونُ على الأرْضِ المبدَّلَةِ وهي أرضٌ مُستَوِيةٌ كالجِلْدِ المَشْدُودِ لا جِبالَ فيها ولا وِدْيَانَ، أكْبَرُ وأَوْسَعُ منْ أَرضِنا هَذه بَيضاءُ كالفِضّةِ.

[١٨٨] س: كيف يكون الحشر؟

ج: يَكُونُ الحَشْرُ على ثلاثةِ أحْوالٍ:

(١) قِسْمٌ طَاعِمُونَ كَاسُونَ رَاكِبُونَ علَى نُوْقٍ رحَائِلُها مِن ذَهَبٍ وهُم الأَتْقِياءُ.

(٢) وقسمٌ حُفاةٌ عُراةٌ وهُم المسلمونَ من أهْلِ الكَبائرِ.

(٣) وقِسمٌ يُحشَرُونَ ويُجَرُّونَ على وجُوهِهم وهمُ الكفّارُ.

[١٨٩] س: تكلمْ عن الحسابِ.

ج: الحسَابُ حقٌّ، وهوَ عَرْضُ أعْمالِ العِبادِ علَيهم، ويكُونُ بتَكليم الله للعِبادِ جَمِيعِهم، فَيفهَمُونَ منْ كلامِ الله السُّؤالَ عمَّا فَعَلُوا بالنِّعَم التي أعْطاهُمُ الله إيَّاها، فيُسَرُّ المؤمِنُ التَّقيُّ، ولا يُسَرُّ الكَافرُ لأنّه لا حَسَنَةَ لهُ في الآخرةِ، بلْ يكادُ يَغشَاهُ المَوتُ، فقَد وَردَ في الحديثِ الصَّحيحِ: «مَا مِنكم من أحَدٍ إلا سَيُكلِّمُهُ رَبُّهُ يَومَ القِيامَةِ لَيس بَينَهُ وبَينَهُ تَرْجُمَانٌ»، رواهُ أحمدُ والتّرمذيُّ.

[١٩٠] س: تكلم عن الميزان.

ج: المِيْزانُ حَقٌّ، وهو كَمِيْزانِ الدُّنْيا لَهُ قَصَبَةٌ وعَمُودٌ وكفَّتانِ كَفّةٌ للحسَنَاتِ وكَفّةٌ للسَّيئاتِ تُوزَنُ بهِ الأعْمالُ يَومَ القيامةِ، والذي يتَولَّى وزْنَها جِبْريلُ وميكَائيلُ، وما يُوزَنُ إنّما هوَ الصّحائِفُ التي كُتِب عليها الحسَناتُ والسَّيئاتُ فَمن رجَحَتْ حَسَناتُه على سَيّئاتِه فَهُو مِنَ أهْلِ النَّجاةِ، ومَنْ تسَاوَتْ حسَناتُه وسيّئاتُه فهوَ مِن أهل النَّجاةِ أيضًا ولكِنَّهُ أقَلُّ رُتْبةً من الطَّبَقةِ الأُولَى وأَرفَعُ من

الثَّالِثَةِ، ومنْ رَجَحَتْ سَيِّئاتُه على حسَناتِه فَهُو تَحتَ مَشيْئَةِ الله إن شَاءَ عذَّبَهُ وإنْ شَاءَ غفَرَ لَهُ.

وأمَّا الكافِرُ فترْجَحُ كفَةُ سيِّئاتِه لا غيرَ لأنَّهُ لا حسَنَات لهُ في الآخِرةِ لأَنَّه أُطْعِمَ بحسَناتِه في الدُّنْيا.

[١٩١] س: تكلم عن الثوابِ.

ج: الثَّوابُ عِنْدَ أهْلِ الحَقّ ليسَ بحَقّ للطَّائِعينَ واجِبٍ على الله، وإنَّما هُو فَضْلٌ مِنهُ وهُو الجَزاءُ الذي يُجْزَى به المُؤْمِنُ مِمَّا يَسُرُّه في الآخِرَةِ.

[١٩٢] س: تكلم عن العقاب.

ج: العِقَابُ لا يَجبُ علَى الله أيْضًا إيقَاعُه للعُصَاةِ، وإنَّما هوَ عدْلٌ مِنهُ، وهوَ ما يَسُوءُ العَبْدَ يَومَ القِيَامةِ.

وهُوَ علَى قِسْمَينِ: أَكْبرَ وأصْغرَ، فالعِقَابُ الأكْبرُ هوَ دُخولُ النّارِ والعِقابُ الأصْغرُ ما سِوى ذلكَ كأذَى حَرّ الشَّمْسِ يَوْمَ القِيامَةِ فَإنَّها تُسَلَّطُ علَى الكُفَّارِ فيَغرَقُونَ حتّى يَصِلَ عَرَقُ أحَدِهم إلى فِيهِ ولا يتَجاوزُ عَرقُ هذَا الشَّخْصِ إلى شَخصٍ ءاخرَ بل يَقْتصرُ عليه حتّى يقُولَ الكافِرُ من شِدَّةِ ما يُقاسِي منها: رَبّ أرِحْني ولَو إلى النَّارِ،

ويَكونُ المؤمنُونَ الأَتْقياءُ تلكَ السَّاعَةَ تحتَ ظِلِّ العَرْشِ، وهذَا مَعنَى الحدِيثِ: «**سَبْعةٌ يُظِلُّهمُ الله في ظِلِّهِ**»، أي في ظِلِّ عَرْشِه.

[١٩٣] س: تكلمْ عن الصراطِ.

ج: الصِّراطُ حَقٌّ، وهوَ جِسْرٌ عَريضٌ مَمدُودٌ علَى جَهنَّمَ تَرِدُ عَليهِ الخلائِقُ، فمِنهُم مَن يَرِدُه ورُوْدَ دخُولٍ وهمُ الكفَّارُ وبَعضُ عُصَاةِ المُسْلِمينَ، أي يَزِلُّونَ مِنهُ إلى جَهنَّمَ، ومنهُم من يَرِدُه ورُودَ مرُورٍ في هَوائِه، فمِن هؤلاءِ مَن يَمُرُّ كالبَرْقِ الخَاطِفِ، ومنهُم مَن يمُرُّ كطَرفَةِ عَيْنٍ، وهوَ مَحمُولٌ على ظَاهِرِه بغَيرِ تأويلٍ، وأحَدُ طرَفَيْهِ في الأَرضِ المُبَدَّلَةِ والآخَرُ فيْما يَلي الجَنَّةَ، وقَد وَردَ في صِفَتِهِ أنّه «دَحْضٌ مَزَلَّةٌ».

[١٩٤] س: ما معنى ما ورد في الصراط أنه أحد من السيف وأدق من الشعرة؟

ج: ما وَردَ أنَّه أحَدُّ مِن السَّيفِ وأدَقُّ من الشَّعرَة كَما رَوى مُسلِمٌ عن أبِي سَعِيد الخُدْرِيِّ: «بلَغنِي أنَّهُ أدقُّ مِنَ الشَّعْرةِ وأَحدُّ منَ السَّيفِ» لم

يرد مرفوعًا إلى رسول الله، ولَيسَ المُرادُ ظَاهِرَهُ بلْ هو عَريضٌ وإنَّما المرادُ بذلِكَ أنَّ خَطَرَهُ عظِيمٌ، فإنَّ يُسْرَ الجَوازِ علَيه وعُسْرَهُ علَى قَدْرِ الطَّاعَاتِ والمعَاصِي ولا يَعْلَمُ حُدُودَ ذلِكَ إلا الله، فقد ورَدَ في الصَّحِيحِ أنَّهُ تَجرِي بِهم أعْمالُهم معناه أن أعمالَهم تصِيرُ لهم قوّةَ السَّيْرِ.

[١٩٥] س: تكلم عن الحوض.

ج: الحَوضُ حَقٌّ، وهو مكانٌ أعَدَّ الله فيه شَرابًا لأَهْلِ الجنَّةِ يشْرَبُونَ مِنه قبلَ دخُولِ الجنّةِ وبَعدَ مُجاوزَةِ الصّرَاطِ، فَلِنبيّنا حوضٌ تردُهُ أمته فقط لا تردُه أمم غيرهِ طولُهُ مَسِيرَةُ شَهْرٍ وعَرضُهُ كَذَلِكَ، ءانِيَتُهُ كَعدَدِ نُجومِ السَّماءِ، شَرابُه أبيَضُ منَ اللَّبَنِ وأحْلَى من العسَلِ وأطْيَبُ منْ رِيحِ المِسْكِ.

وقد أعَدَّ الله لكلّ نبيٍّ حوضًا وأكبرُ الأحواضِ حوضُ نبيّنا محمّدٍ ﷺ.

[١٩٦] س: تكلمْ عن الجنةِ وبعض ما جاء في وصفها.

ج: الجنَّةُ حَقٌّ فيَجبُ الإيْمانُ بِها وأنَّها مَخلُوقَةٌ الآنَ كَما يُفهَم ذَلكَ منَ القُرءانِ والحَديثِ

الصَّحيح، وهي فَوقَ السَّماءِ السَابِعةِ ليسَت متّصِلةً بها، وسَقْفُها عَرشُ الرّحمٰنِ، وأهْلُها علَى صُورةِ أَبِيهم ءادمَ سِتّونَ ذِراعًا طُولا في سَبْعةِ أذرُعٍ عَرْضًا جمِيلُو الصُّورةِ، جُرْدٌ مُرْدٌ في عُمرِ ثَلاثةٍ وثَلاثِيْنَ عامًا، خالِدُونَ فِيها لا يَخرجُونَ مِنها أبدًا. وقد صحَّ الحديث بذلك.

وقَالَ رسُولُ الله ﷺ في وَصْفِها: «هِيَ ورَبِّ الكَعْبةِ نُورٌ يتلأْلأُ ورَيْحانَةٌ تَهتزُّ، وقَصرٌ مَشِيدٌ ونَهرٌ مُطَّرِدٌ، وفَاكِهةٌ كثيرةٌ نَضِيجَةٌ، وزَوجةٌ حَسناءُ جَميلةٌ، وحُلَلٌ كثيرةٌ في مُقَامٍ أَبَديّ في حُبْرَةٍ ونَضْرَةٍ» رواهُ ابنُ حبانَ.

[١٩٧] س: تكلم عن النار.

ج: النَّارُ حَقٌّ، فَيَجِبُ الإيْمانُ بها وبأنَّها مَخلُوقَةٌ الآنَ، كَما يُفْهَم ذلِكَ مِنَ الآيَاتِ والأحادِيثِ الصّحيحةِ، وهيَ مَكانٌ أعَدَّهُ الله لِعَذابِ الكُفَّارِ الذي لا يَنْتَهي أبدًا وبَعْضِ عُصَاةِ المُسْلِمينَ، ومَكانُها تَحْتَ الأرْضِ السَّابعةِ مِن غَيرِ أن تَكُونَ مُتَّصِلةً بها.

ويَـزِيْدُ الله في حَجْمِ الكَـافِرِ في النَّـارِ لِيَزْدَادَ عَذَابًا حَتّى يكونَ ضِرْسُه كجبَلِ أُحُدٍ، وهوَ خَالِدٌ في النَّار أبدًا لا يَمُوتُ فِيْها ولا يَحْيا أي حَياةً فيها راحة، لَيْسَ لَهُم فِيها طَعامٌ إلا مِن ضَرِيْعٍ، وشَرابُهُم منَ الماءِ الحارّ المُتنَاهي الحرارةِ.

[١٩٨] س: ما الدليل على كون الجنة فوق السماء السابعة وجهنم تحت الأرض السابعة؟

ج: أمَّا كَونُ الجَنَّةِ فَوقَ السَّماءِ السَّابعةِ فذَلِكَ ثابِتٌ فِيْمَا صَحَّ مِنَ الحديثِ، وهو قوله ﷺ «وفوقَه» يعني الفردوسَ «**عرشُ الرحمـٰن**»، وأمّا كَونُ جهَنّمَ تَحْتَ الأَرْضِ السَّابعةِ فقَد قالَ أبو عبدِ الله الحاكمُ في المُسْتَدرَكِ: إنَّ ذلكَ جاءَت فيهِ رِواياتٌ صَحيحةٌ.

[١٩٩] س: تكلمْ عنِ الشفاعة.

ج: الشَّفَاعَةُ حَقٌّ، وهي سُؤالُ الخَيرِ منَ الغَيْرِ لِلْغَيرِ، فيَشْفَعُ النَّبيُّونَ والعُلَماءُ العَامِلُونَ والشُّهدَاءُ والملائكةُ، ويشفَعُ نبيُّنا لأهْلِ الكبَائرِ مِن أمَّتِه، فَقد جَاءَ في الحَديثِ الصَّحيحِ: «**شَفَاعَتِي لأَهلِ**

الكبَائرِ مِن أمَّتي» رَواهُ ابنُ حِبّانَ، أي غيرُ أهْلِ الكَبَائرِ لَيْسُوا بحَاجَةٍ للشَّفَاعةِ، وتَكُونُ لبَعْضِهم قبلَ دخولِهِمُ النّارَ ولِبَعْضٍ بَعدَ دخُولِهِمْ قَبْلَ أن تَمضِيَ المُدَّةُ التي يَسْتَحِقُّونَ بِمَعَاصِيْهِم، ولا تكونُ للكُفَّارِ قَالَ الله تَعالى ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الأنبياء]، وأوَّلُ شَافِعٍ يَشْفَعُ هُوَ النبيُّ ﷺ.

[٢٠٠] س: تكلمْ عن الرُّوح.

ج: يَجبُ الإيمانُ بالرُّوحِ وهي جِسْمٌ لَطِيفٌ لا يَعلَمُ حَقِيقَتَهُ إلا الله، وقَد أَجْرَى الله العَادَةَ أن تَسْتَمرَّ الحيَاةُ في أجْسَامِ الملائِكَةِ والإنسِ والجِنّ والبَهائمِ مَا دامَت تِلكَ الأجْسَامُ اللطيفَةُ مُجتَمِعةً معَها، وتُفَارِقَها إذَا فارَقَتْها تلكَ الأجْسَامُ، وهيَ حادِثةٌ لَيسَت قَديمَةً، فَمن قالَ إنَّها قَدِيمةٌ ليسَت مخلُوقَةً فقَد كَفرَ، وكذلكَ مَن قالَ البَهائمُ لا أَرْواحَ لهَا كمَا قالَ ذلكَ مُحمّدُ مُتَوَلّي الشَّعْراوِيُّ[١] في كتابَيْه التفسير والفتاوى وذَلِكَ تَكْذِيبٌ للقُرْءَانِ وإنكارٌ

---

(١) انظر كتابه الفتاوى (١/٢١٨).

للعِيان قَالَ تَعالى ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ [سورة التكوير]. وقال رَسُولُ الله ﷺ: «لَتُؤَدَّنَّ الحُقوقَ إلى أَهْلِها يومَ القِيامةِ حَتّى يُقادَ لِلشّاةِ الجَلْحاءِ مِنَ الشّاةِ القَرْناءِ» رَواهُ مُسْلِمٌ.

[٢٠١] س: الله يرحمُ المؤمنينَ والكافرينَ في الدنيا والمؤمنين فقط في الآخرةِ بَيّنْ ذلك.

ج: الله تَعالى يَرْحَمُ المُؤْمِنينَ والكَافِرينَ في الدُّنْيا وَسِعَتْ رَحمَتُه كُلًّا، أَمّا في الآخرةِ فرَحمَتُه خَاصَّةٌ للمؤمنينَ، قالَ الله تعالى ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۝١٥٦﴾ [سورة الأعراف].

أَي وسِعَت في الدُّنيا كلَّ مُسْلمٍ وكَافِرٍ، قَالَ ﴿فَسَأَكْتُبُهَا ۝١٥٦﴾ أي في الآخِرةِ، ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۝١٥٦﴾، أي أَخُصُّها لمن اتَّقى الشِّرْكَ وسَائِرَ أَنْواعِ الكُفْرِ.

وقَالَ تَعالى ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٥٠﴾ [سورة الأعراف].

أي أنَّ الله حرَّمَ على الكَافِرينَ الرّزقَ النَّافِعَ والماءَ المُرْوِيَ في الآخِرَةِ، وذَلكَ لأنَّهُم أضَاعُوا أعْظَمَ حُقُوقِ اللهِ الذي لا بدِيلَ لهُ وهوَ الإيمانُ باللهِ ورسولِه.

ثمَّ إنَّ الله جَعلَ الدُّخُولَ في الإسْلامِ الذي هوَ أفضَلُ نِعَمِ اللهِ سَهْلًا، وذَلِكَ بالنُّطقِ بالشَّهادَتينِ بَعْدَ مَعْرفةِ اللهِ ورسُولِه.

وجعَلَ الكفرَ سَهْلًا فكلِمةٌ واحدةٌ تَدُلُّ على الاسْتِخْفافِ باللهِ أو شَريعَتهِ تُخْرجُ قَائِلَها منَ الإيمانِ، وتوقِعُهُ في الكفرِ الذي هو أسْوأُ الأحوالِ حتّى يكونَ عنْدَ اللهِ أحْقَرَ مِنَ الحَشَراتِ والوُحوشِ، سَواءٌ تكَلَّمَ بِها جادًّا أو مَازِحًا أو غَضْبانَ.

وقَد شُرِحَ ذَلكَ في كتُبِ الفِقْهِ في المذَاهبِ المُعْتَبرَةِ وحَكَمُوا أنّ المتلَفّظَ بها يكفرُ.

قالَ اللهُ تَعالى ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٥٥﴾ [سورة الأنفال].

مَبْحَثُ البِدْعَةِ

ويتضمن خمسة أسئلة

[٢٠٢] س: عرّف البدعةَ.

ج: البِدْعَةُ لُغَةً مَا أُحْدِثَ علَى غَيرِ مِثَالٍ سَابِقٍ، وشَرعًا المُحْدَثُ الذي لَم يَنُصَّ علَيهِ القُرءَانُ ولا الحدِيثُ.

[٢٠٣] س: إلى كم قسم تنقسم البدعة واذكر أقسامها.

ج: تَنْقَسِمُ البدعة إلى قِسْمَين كَما يُفهَمُ ذلكَ مِن حَديثِ عائِشَةَ رضِيَ الله عنْها قالَت: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**مَن أَحْدَثَ في أمْرِنا هَذا مَا لَيسَ منْهُ فَهُوَ رَدٌّ**» أي مَردُودٌ.

القِسْمُ الأَوَّلُ: البِدْعَةُ الحَسَنَةُ: وتُسَمَّى السُّنَّةَ الحسَنَةَ، وهي المُحدَثُ الذي يُوافِقُ القُرءانَ والسُّنَّةَ.

القِسْمُ الثَّاني: البدْعَةُ السَّيّئَةُ: وتُسَمَّى السُّنَّةَ السَّيّئةَ، وهي المُحْدَثُ الذي يُخَالِفُ القُرءانَ والحَدِيثَ.

وهَذا التَّقْسِيمُ مَفْهُومٌ أيضًا مِنْ حَدِيثِ جَرِيرِ بنِ عَبد الله البَجَليّ رَضيَ الله عنهُ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ سَنَّ في الإسلام سُنَّةً حسَنَةً فَلَهُ أجرُها وأجرُ مَن عَمِلَ بها بعدَهُ مِن غير أن يَنْقُصَ من**

أجُورِهم شَيءٌ، ومَن سَنَّ في الإسْلامِ سُنَّةً سَيِّئةً كانَ عليه وِزْرُها ووِزْرُ مَن عَمِلَ بِها مِنْ بَعْدِه مِن غَيرِ أن يَنْقُصَ مِن أَوزَارِهم شَيءٌ» رَواهُ مسلمٌ.

[٢٠٤] س: اذكر أمثلةً على البدعِ الحسنة.

ج: مِنَ البِدَعِ الحسنةِ: الاحْتِفَالُ بمَولِدِ النَّبي ﷺ في شهرِ ربيعٍ الأولِ، وأوّلُ مَنْ أحدَثَهُ المَلِكُ المُظَفَّرُ مَلِكُ إرْبِلَ في القَرْنِ السَّابع الهِجْرِيّ.

وتَنْقيطُ التَّابعيّ الجليلِ يَحْيَى بنِ يَعْمَرَ المُصْحَفَ، وكانَ مِن أهْلِ العِلْمِ والتَّقْوى، وأقَرَّ ذَلِكَ العُلَماءُ مِن مُحَدّثينَ وغَيْرِهم واسْتَحْسَنُوهُ ولَم يكُن مُنَقَّطًا عِنْدَما أمْلَى الرَّسُولُ علَى كتبَةِ الوَحْي، وكذَلِكَ عُثمانُ بنُ عَفّانَ لمّا كتَبَ المصَاحِفَ الخَمْسَةَ أو السّتَّة لم تكُن مُنَقَّطَةً، ومُنْذُ ذَلك التَّنقِيطِ لم يَزَل المُسلِمونَ على ذَلكَ إلى اليَوم، فَهلْ يُقالُ في هَذا إنَّه بِدْعَةُ ضَلالةٍ لأَنَّ الرَّسُولَ لَم يَفْعَلهُ؟ فإنْ كانَ الأمْرُ كذَلِكَ فليَتْركُوا هذِهِ المصَاحِفَ المُنَقّطَةَ أو لِيَكْشِطُوا هَذَا التَّنقِيطَ مِنَ المَصَاحِفِ حتَّى تعودَ مجرَّدَةً كما في أيّامِ عُثمانَ. قالَ أبو بكر بنُ أبي دَاودَ صَاحِبِ السُّنَنِ في كِتَابه المَصَاحِف: «أَوّلُ

مَن نَقَطَ المَصَاحِفَ يَحيى بنُ يَعْمَرَ». اهـ، وهوَ مِنْ عُلَماءِ التَّابِعينَ رَوَى عَن عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ وغَيرِه.

[٢٠٥] س: اذكرْ أمثلةً على البدعِ غيرِ الحسنة.

ج: المُحْدَثاتُ غير الحسنة في الاعْتِقادِ كبِدْعَةِ المُعتَزِلَةِ والخوارِجِ وغَيْرِهم مِنَ الذينَ خَرجُوا عَمَّا كانَ علَيه الصَّحابةُ رِضْوانُ الله علَيْهم في المُعتَقَد.

وكِتَابة (ص) أو (صلعم)[1] بعدَ اسم النَّبي بدَلَ (ﷺ) وقَد نَصَّ المُحدّثونَ في كتُبِ مُصْطَلَح الحَديثِ علَى أنَّ كِتَابةَ الصَّادِ مُجَرَّدَةً مَكروهٌ، ومعَ هذَا لمْ يُحَرِّمُوها.

فَمِن أينَ لهؤلاءِ المُتَنَطّعينَ المُشَوّشِينَ أن يقولوا عن عَمَلِ المولدِ: بدعَةٌ محرّمةٌ، وعَن الصَّلاةِ على النَّبي جَهْرًا عقِبَ الأذانِ إنَّهُ بدعةٌ محرّمةٌ بدَعْوَى أن الرسولَ ما فعلَهُ والصَّحابةَ لم يفعَلُوهُ.

ومنه تحريفُ اسمِ الله إلى ءاهٍ ونحوِه كما يَفعَلُ ذلكَ كثيرٌ من المنتسبينَ إلى الطُّرُقِ فإنّ هذا من البِدَعِ المُحرَّمَةِ.

---

(١) وكتابةُ (صَلعَم) بعدَ اسم النّبي ﷺ أقبح من كتابة (ص).

[٢٠٦] س: اذكر قول الإمام الشافعي في تقسيم البدعة.

ج: قَالَ الإمامُ الشَّافِعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ: «المُحدَثاتُ مِنَ الأمُورِ ضَربانِ، أحَدُهُما مَا أُحدِثَ ممّا يُخَالِفُ كِتابًا أَو سُنَّةً أو إجْماعًا أَو أثَرًا فَهذِهِ البِدْعَةُ الضّلالَةُ، والثّانِيةُ مَا أُحْدِثَ مِنَ الخَيرِ ولا يُخَالِفُ كِتَابًا أو سُنَّةً أو إجْماعًا وهَذه مُحْدَثَةٌ غَيرُ مَذْمُومَةٍ»، رَواهُ البَيْهقيُّ بالإسنادِ الصّحيح في كتابِه «مَنَاقِبُ الشَّافِعيّ».

فصلٌ

في إثبات جوازِ التوسلِ بالأنبياءِ والأولياءِ

ويتضمن ستة عشر سؤالا

[٢٠٧] س: اذكرْ معنى التوسلِ.

ج: التوسل في الاصطلاح هو طلب حصول منفعة أو اندفاع مضرة من الله تعالى بذكر اسم نبيّ أو وليّ إكرامًا للمتوسل به.

واعْلَم أنَّه لا دَليلَ حَقِيقيٌّ يَدُلُّ على عَدَمِ جوازِ التَّوسُّلِ بالأَنْبياءِ والأَوْلِياءِ في حَالِ الغَيْبَةِ أو بَعْدَ وفَاتِهم بدَعْوى أنَّ ذَلكَ عِبَادَةٌ لغَيْرِ الله، لأنَّهُ لَيْسَ عِبادَةً لغَيْرِ الله مُجَرَّدُ النّداءِ لحَيّ أو مَيّتٍ ولا مُجَرَّدُ التَّعظِيْم ولا مُجرَّدُ الاسْتِغَاثَةِ بغَيْرِ الله، ولا مُجَرَّدُ قَصْدِ قَبْرِ وَليّ للتّبرّكِ، ولا مُجرَّدُ طلَبِ مَا لَمْ تَجْرِ بهِ العَادَةُ بينَ النَّاسِ، ولا مُجرَّدُ صِيغَةِ الاسْتِعَانَةِ بغَيرِ الله تَعالى، أي لَيْسَ ذلكَ شِرْكًا لأنَّهُ لا يَنْطبِقُ علَيْهِ تَعْرِيفُ العِبَادَةِ عِنْدَ اللُّغوِيّينَ، لأنَّ العِبَادةَ عِنْدَهُم الطَّاعةُ معَ الخُضوعِ.

[٢٠٨] س: اذكر معنى العبادة.

ج: قالَ الأَزْهَرِيُّ الذي هُوَ أحدُ كِبارِ اللُّغَوِيّينَ في كتَابِ تَهذِيبِ اللُّغَةِ نَقْلًا عَن الزَّجّاج الذي هوَ مِنْ أشْهَرِهِم: العِبادَةُ في لُغَةِ العَرَبِ الطَّاعَةُ مَعَ

الخُضُوعِ، وقالَ مثلَهُ الفَرّاءُ كما في لسانِ العَرَبِ لابنِ منظور. وقالَ بَعْضُهُم: أقْصَى غَايَةِ الخُشُوع والخُضُوعِ، وقالَ بَعْضٌ: نِهَايَةُ التَّذلُّلِ كَما يُفْهَم ذَلكَ مِن كَلامِ شَارحِ القَاموسِ مُرتَضى الزَّبيدِيّ خَاتِمَةِ اللّغويّين، وهَذا الذي يَسْتَقِيمُ لُغَةً وعُرْفًا. ولَيْسَ مُجردُ التَّذَللِ عِبادَةً لِغَيرِ الله وإلا لَكَفر كُلُّ مَن يتَذَلَّلُ لِلْمُلُوكِ والعُظَماءِ. وَقَد ثبَتَ أنَّ مُعاذَ بنَ جَبَلٍ لمَّا قَدِمَ مِنَ الشَّامِ سَجَد لِرَسُولِ الله، فَقالَ الرَّسُولُ: «مَا هَذا» فَقالَ: يَا رَسُولَ الله إنّي رَأَيتُ أَهْلَ الشّام يَسْجُدُونَ لبَطارِقَتِهم[١] وأسَاقِفتهم[٢] وأنتَ أوْلَى بذَلِكَ، فَقَالَ: «**لا تَفْعَلْ، لَو كُنْتُ ءامرُ أَحدًا أَن يَسْجُدَ لأَحَدٍ لأَمَرتُ المَرأَةَ أَنْ تسْجُدَ لِزَوْجِها**»، رَوَاهُ ابنُ حِبّانَ وابنُ مَاجَهْ وغَيْرُهُما. ولَم يَقُلْ لهُ رَسُولُ الله ﷺ كفَرْتَ، ولا قالَ لهُ أشْرَكْتَ مَع أنَّ سجُودَهُ للنَّبِي مَظْهَرٌ كَبِيرٌ مِنْ مَظاهِرِ التَّذَلُّلِ.

---

(١) البِطْريقُ بالكَسْر مِنَ الرُّوم كالقَائدِ مِنَ العَربِ.
(٢) علماءُ النصارى يقال لهم أسَاقِفةٌ.

[٢٠٩] س: رُدَّ على من يكفِّر المتوسلينَ والمتبركينَ بالأنبياءِ والأولياء.

ج: هؤلاءِ الذينَ يُكَفِّرونَ الشَّخْصَ لأَنَّهُ قَصدَ قَبْرَ الرّسُولِ أو غَيْرِه من الأوْلياءِ للتبرُّكِ فَهُم جَهِلُوا معنى العِبادةِ، وخَالَفُوا ما علَيهِ المُسلِمونَ، لأنَّ المُسْلمينَ سَلَفًا وخَلَفًا لَمْ يَزالُوا يَزُورُونَ قَبْرَ النّبيّ للتبرك وليسَ مَعْنى الزّيارةِ لِلتَّبرُّكِ أنَّ الرَّسُولَ يَخْلُقُ لَهُمُ البَرَكَةَ بل المَعْنَى أَنَّهُم يَرْجُونَ أن يَخلُقَ الله لهمُ البَرَكَةَ بزِيارَتِهم لقَبْرِه.

والدَّليلُ علَى ذلكَ مَا رَواهُ البَيهقيُّ بإسْنادٍ صَحِيح عن مَالكِ الدَّارِ وكانَ خَازِنَ عُمرَ قالَ: أَصَابَ النّاسَ قَحْطٌ[١] في زَمانِ عُمَرَ فَجاءَ رَجُلٌ إلى قبرِ النَّبي ﷺ فقالَ: يا رسُولَ الله اسْتَسْقِ لأُمّتِكَ فَإِنَّهُم قَدْ هَلَكُوا فأُتِيَ الرجلُ في المَنامِ فقِيلَ لَهُ: أَقْرِئ عُمرَ السَّلامَ وأَخْبِرْهُ أَنَّهُم يُسْقَوْنَ، وقُلْ لَهُ: عَليكَ الكَيْسَ الكَيْسَ. فأَتَى الرَّجلُ عُمَرَ فأَخْبرَهُ، فَبكَى عُمَرُ وقَالَ: يا رَبّ مَا ءَالُو إلا مَا

(١) أي وَقَعت مَجاعَةٌ، تِسْعَةَ أشْهُرٍ انقَطعَ المطَرُ عَنْهُم.

عَجَزْتُ. وقَد جاءَ في تَفْسِيرِ هذَا الرَّجُلِ أنّهُ بلالُ ابنُ الحرثِ المُزَنيُّ الصّحَابِيُّ. فهذَا الصَّحابِيُّ قَدْ قصَدَ قبرَ الرَّسُولِ للتبرُّكِ فَلَم يُنكِرْ علَيهِ عُمَرُ ولا غَيْرُهُ فَبطَل دَعْوى ابنِ تَيميةَ أنَّ هذهِ الزّيارَة شِركيَّةٌ.

وقَد قَالَ الحَافِظُ وليُّ الدّينِ العِرَاقيُّ في حَديثِ أبي هُريرةَ أنَّ مُوسَى قالَ: «ربّ أَدْنِني مِنَ الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجرٍ»، وأنَّ النّبيَّ ﷺ قالَ: «**والله لَو أنّي عِندَهُ لأَرَيْتُكم قَبْرَهُ إلى جَنْبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الكَثِيْبِ الأَحْمَرِ**»: فيهِ اسْتِحْبَابُ مَعْرِفَةِ قُبورِ الصَّالِحِينَ لزِيَارتها والقِيامِ بحقّهَا اهـ.

[٢١٠] س: اذكر أمثلةً من كلامِ علماءِ أهلِ السنةِ على أنهم يرونَ جوازَ التبركِ والدعاءِ عند قبورِ الصالحين.

ج: قَالَ الحَافِظُ الضّياءُ حَدَّثَنِي سَالِمُ التَّلّ قالَ: «مَا رأَيتُ اسْتِجَابة الدُّعاءِ أَسْرعَ مِنها عندَ هذَا القَبْرِ، وحدثني الشيخُ عبد الله بن يونس المعروف بالأرمني أنه زار هذا القبرَ وأنّهُ نَامَ

فَرأى في مَنَامِه قُبَّةً عِنْدَهُ وفيها شَخْصٌ أَسْمَرُ فسَلَّم علَيْهِ وقالَ لَهُ: أنْتَ مُوسَى كلِيْمُ الله أو قالَ نبيُّ الله، فَقالَ: نَعَم، فَقُلْتُ: قُلْ لي شَيئًا، فأَوْمَأَ إليَّ بأرْبعِ أصَابعَ ووَصفَ طُولَهُنَّ، فانتَبهْتُ ولَم أدْرِ ما قالَ، فأَخْبَرتُ الشَّيخَ ذَيَّالا بذَلكَ فقالَ: يُولَدُ لَكَ أربعةُ أولادٍ، فقلْتُ: أنا قَد تزَوَّجْتُ امرأةً لَم أقْرَبْها، فقالَ: تَكُونُ غيرُ هَذِه، فتَزوَّجْتُ أُخْرَى فولَدت لي أرْبَعَةَ أولادٍ». انْتَهى.

[٢١١] س: اذكر بعض الأدلة على جواز التوسل بالأنبياء والأولياء.

ج: أخرجَ أحْمدُ في المُسْنَدِ بإسْنادٍ حَسَنٍ كَما قَالَ الحَافِظُ ابنُ حجَرٍ أنَّ الحٰرِثَ بنَ حسَّانٍ البَكْرِيَّ قَالَ لِرَسُولِ الله ﷺ: أَعُوذُ بالله ورَسُولِه أَن أَكُونَ كَوافِدِ عَادٍ، الحديث بطُولِهِ دليلٌ يُبطِلُ قولَ الوهابيةِ: الاستعاذَةُ بغيرِ الله شِركٌ.

وعن ابنِ عبَّاس أنَّ رسُولَ الله ﷺ قالَ: «**إنَّ لله مَلائِكةً في الأرْضِ سِوَى الحَفَظَةِ يَكتُبونَ مَا يَسْقُطُ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ فَإِذَا أَصَابَ أحدَكُم عَرْجَةٌ بأرْضٍ**

فَلاةٍ فلْيُنَادِ أعِينُوا عِبادَ الله»، رَواهُ الطَّبَرانيُّ، وقَالَ الحَافِظُ الهَيْثَميُّ: رجَالُهُ ثِقَاتٌ.

وقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«حَياتِي خَيْرٌ لَكُم ومَمَاتي خَيرٌ لَكُم تُحَدِثُونَ ويُحْدَثُ لَكُم، وَوفَاتي خَيرٌ لَكُم تُعْرَضُ عَليَّ أعْمالُكُم فَما رَأيتُ مِنْ خَيْرٍ حَمِدْتُ الله عَلَيهِ وما رأيتُ مِنْ شَرّ استَغْفَرْتُ لَكُم»**، رَواهُ البَزَّارُ ورِجالُهُ رجالُ الصَّحيحِ.

[٢١٢] س: اذكر الدليلَ على استحسانِ التوسلِ بالنبيّ ﷺ في حياته وبعد مماته في حضرته أو في غير حضرته.

ج: أَخْرجَ الطَّبرانيُّ في مُعْجَمَيهِ الكَبيرِ والصَّغيرِ عَن عُثمانَ بنِ حُنَيفٍ أنَّ رَجُلًا كانَ يَخْتلِفُ - أي يتَرَدَّدُ - إلى عثمانَ بنِ عَفّانَ، فكَانَ عُثْمانُ لا يَلْتَفِتُ إلَيْهِ ولا يَنْظُرُ في حَاجَتِه، فَلقِي عُثْمانَ بنَ حُنَيْفٍ فشَكَى إلَيْهِ ذلكَ، فقَالَ: ائتِ المِيْضأَةَ فَتوضَّأْ ثُمّ صَلّ رَكْعتينِ ثمَّ قُلْ: اللّهُمَّ إنّي أسْأَلُكَ وأتَوَجَّهُ إلَيكَ بنَبِيّنا محمّدٍ نبيّ الرَّحْمةِ، يَا مُحَمَّدُ إنِي أتَوجَّهُ بكَ إلى رَبي في حَاجَتِي لتُقْضَى لي، ثمَّ رُحْ حتَّى أرُوّحَ مَعَكَ. فانْطلَق الرجلُ ففَعلَ ما

قَالَ، ثُمّ أتى بَابَ عُثْمانَ فَجاءَ البَوَّابُ فأخَذَ بِيَدِه فأَدْخلَهُ على عُثْمانَ بنِ عَفّانَ فأجْلسَهُ على طِنْفِسَتِه - أي سَجّادته - فَقالَ: مَا حَاجَتُكَ؟ فذَكَرَ لَهُ حَاجَتَهُ، فقَضى لَهُ حاجَتَهُ وقَالَ: مَا ذَكَرْتُ حَاجَتَكَ حتّى كانَت هذِه السَّاعَةُ، ثُمّ خَرجَ مِنْ عِنْده فلَقِيَ عثمانَ بنَ حُنَيْفٍ فَقالَ: جَزاكَ الله خَيْرًا، مَا كانَ يَنْظُر في حَاجَتي ولا يَلْتَفِتُ إلَيَّ حَتَّى كلَّمْتَهُ فِيَّ، فَقالَ عُثْمانُ بنُ حُنَيفٍ: والله ما كَلّمْتُهُ ولكِنْ شَهِدْتُ رسولَ الله ﷺ وقَدْ أتاهُ ضَرِيرٌ فشَكَى إلَيهِ ذَهَابَ بَصَرِه فَقالَ: «إن شِئْتَ صَبَرْتَ وإنْ شِئْتَ دَعَوْتُ لكَ»، قالَ: يَا رَسُولَ الله إنّه شَقَّ عَليَّ ذَهابُ بَصَري وإنَّهُ لَيْسَ لي قَائِدٌ فقال له: «ائتِ المِيْضَأَةَ فتَوضَّأ وصَلّ ركعتينِ ثمّ قلْ هؤلاءِ الكَلماتِ»، ففَعلَ الرجُلُ ما قَال، فوَالله مَا تَفَرَّقْنا ولا طالَ بِنا المجْلِسُ حَتّى دخَلَ علَيْنا الرّجُلُ وقَد أبْصَرَ كأنَّهُ لَم يكنْ بهِ ضُرٌّ قَطُّ.

قالَ الطَّبرَانِيُّ في كل من «مُعْجَمَيْهِ»: والحَدِيْثُ صَحِيْحٌ، والطَّبرَانيُّ مِنْ عَادَتِهِ أنَّهُ معَ اتّسَاع كِتابه المعجَمِ الكَبيرِ، ما قالَ عن حدِيثٍ أوْردَهُ ولو كَانَ صَحِيحًا: الحَدِيثُ صَحِيحٌ، إلا عن هَذَا

الحَدِيْثِ، وكذلكَ أخرجه في الصغيرِ وصححهُ.

فَفِيهِ دَليلٌ أنَّ الأَعْمَى تَوسَّلَ بالنَّبي في غَيْرِ حَضْرَتِهِ بدَليلِ قَوْلِ عُثمانَ بنِ حُنَيفٍ: «حتَّى دَخَلَ علَيْنا الرَّجُلُ»، وفيهِ أنَّ التَّوسُّلَ بالنَّبي جَائِزٌ في حَالَةِ حَيَاتِه وبعْدَ ممَاتِه فبَطَل قَوْلُ ابنِ تَيْميةَ: لا يَجُوزُ التَّوسلُ إلا بالحَيِّ الحَاضِرِ، وكلُّ شَرْطٍ لَيْسَ في كِتابِ الله فهُوَ بَاطِلٌ وإنْ كَانَ مِائَةَ شَرطٍ.

وأما تمسكُ بعضِ الوهابيةِ لِدعوى ابنِ تيميةَ هذه في روايةِ حديثِ الترمذيِ الذي فيه: **اللهمَّ شَفعْهُ فيَّ وشَفعني في نفسِي**»، فلا يفيدُ أنه لا يُتبركُ بذاتِ النبي، بل التبركُ بذاتِ النَّبيّ إجماعٌ لم يخالفْه إلا ابنُ تيمية، والرسولُ هو الذي قالَ فيه القائلُ:

وأبيضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بوجهِهِ
ثِمَالَ اليَتَامى عِصْمَةٌ للأَرَامِلِ

أَوْرَدَهُ البُخَاريُّ.

[٢١٣] س: اذكرْ تعليلَ توسلِ المسلمينَ بالعباسِ بعدَ وفاةِ الرسول ﷺ.

ج: أمَّا توسُّلُ عُمرَ بالعَبَّاسِ بعدَ موتِ النَّبي ﷺ فليسَ لأنَّ الرّسُولَ قدْ مَاتَ، بلْ كانَ لأجْلِ رِعَايةِ حَقّ قرابَتِه مِنَ النَّبي ﷺ، بدَليلِ قَولِ العبّاسِ حِينَ قَدَّمَهُ عُمرُ: «اللّهُمَّ إنّ القَوْمَ توجَّهُوا بي إلَيْكَ لِمَكَانِي[1] مِنْ نَبيّكَ»، فَتَبيَّنَ بُطْلانُ رأيِ ابنِ تَيْمِيَةَ ومَنْ تَبعَهُ مِنْ مُنْكِرِي التَّوسُّلِ. رَوى هذا الأَثَرَ الزُّبَيرُ بنُ بكَّار كما قالَ الحافظُ ابن حجر.

ويُسْتَأنسُ لَهُ أَيضًا بِما رَواهُ الحاكِمُ في المستَدْرَكِ أنَّ عُمرَ رَضِيَ الله عَنْهُ خَطَب النَّاسَ فقالَ: «أيُّها النَّاسُ إنَّ رسُولَ الله ﷺ كانَ يَرَى للعَبّاسِ مَا يَرَى الولَدُ لِوَالدِه، يُعَظّمُهُ ويُفَخّمُهُ ويَبَرُّ قَسَمَهُ، فاقْتَدُوا أيُّها النّاسُ برسولِ الله ﷺ في عَمّهِ العبَّاسِ واتّخِذُوه وسِيلةً إلى الله فِيما نَزَلَ بكُم»، فَهذا يُوضِحُ سَببَ تَوسُّلِ عُمَرَ بالعَبّاسِ.

[٢١٤] س: كيف تردّ على الألباني ومن تبعه ممن يحاولون تضعيفَ حديثِ توسلِ الأعمى بالنبي ﷺ.

ج: لا التِفَاتَ بَعْدَما سبق ذكره إلى دَعْوَى

(١) أي لمكانتي عنده.

بَعْضِ هَؤلاءِ المُشَوّشِينَ أنَّ الحدِيثَ المذْكُورَ في إسنَادِهِ أبو جَعْفَرٍ وهوَ رَجُلٌ مَجْهُولٌ، ولَيْسَ كَما زَعَمُوا بل أبو جَعْفرٍ هَذا هُوَ أبو جَعْفَرٍ الخِطْمِيُّ ثِقَةٌ، وكذلكَ دَعْوَى بَعْضِهم وهوَ نَاصِرُ الدِّينِ الألْبانيُّ أنَّ مُرادَ الطَّبرَانيّ بقَولِه: «والحدِيثُ صَحِيحٌ» القَدْرُ الأَصْلِيُّ وهوَ مَا فَعلَهُ الرَّجُلُ الأَعْمَى في حَياةِ رسُولِ الله فَقَط، وَلَيْسَ مُرادُه ما فَعلَهُ الرَّجُلُ أيّامَ عُثمانَ بنِ عَفَّانَ بَعْدَ وفاةِ الرسولِ وهذا مردودٌ لأَنَّ عُلَماءَ المُصْطَلح قَالُوا: الحَدِيثُ يُطلَقُ علَى المَرْفُوعِ إلى النّبيّ والمَوقُوفِ على الصَّحابَةِ، أي أنَّ كَلامَ الرسولِ يُسَمَّى حَدِيثًا وقَولَ الصَّحابِيّ يُسَمَّى حَدِيثًا، ولَيسَ لَفْظُ الحَدِيثِ مَقْصُورًا على كلامِ النّبيِ فَقط في اصطِلاحِهِمْ، وهَذا المُمَوِّهُ كلامُهُ لا يُوافِقُ المُقَرَّرَ في عِلْمِ المُصْطَلَحِ فَليَنْظُرْ مَنْ شَاءَ في كِتَابِ تَدْرِيْبِ الرَّاوِي والإِفْصَاحِ وغَيرِهما مِن كُتُبِ المُصْطَلَحِ، فإنَّ الألبانيَّ لم يجرهُ إلى هذهِ الدَّعوى إلا شِدة تعصبهِ لهواهُ وعَدم مبالاتِهِ بمخالفةِ العلماءِ كَسَلَفِهِ ابن تيمية.

[٢١٥] س: ما معنى حديث: «إذا سألت فاسألِ الله وإذا استعنتَ فاستعنْ بالله»؟

ج: أَمّا حَدِيثُ ابنِ عَبّاسٍ الذي رواهُ التّرمذيُّ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ لهُ: **«إذَا سَألْتَ فاسْألِ الله وإذَا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِن بالله»** فلَيسَ فيهِ دَليلٌ أيْضًا علَى مَنْعِ التَّوسُّلِ بالأَنبياءِ والأَوْلياءِ لأنَّ الحديثَ معناهُ أن الأوْلى بأن يُسألَ ويُسْتَعانَ بهِ الله تَعالى، وليسَ مَعناهُ لا تَسْألْ غيرَ الله ولا تَسْتَعِنْ بغيْرِ الله. نَظِيرُ ذَلِكَ قَولُه ﷺ: **«لا تُصاحِبْ إلا مُؤمِنًا ولا يأكُلْ طَعامَكَ إلا تَقِيٌّ»**، فكَما لا يُفهَمُ مِنْ هَذا الحَديثِ عَدَمُ جَوازِ صُحْبَةِ غَيرِ المُؤمنِ وإطْعامِ غَيرِ التَّقِيّ، وإنَّما يُفْهَمُ مِنهُ أنَّ الأَوْلَى في الصُّحبَةِ المُؤمنُ وأنَّ الأَوْلَى بالإطْعامِ هُوَ التَّقيُّ، كذلكَ حَديثُ ابنِ عبَّاسٍ لا يُفهَمُ مِنهُ إلا الأَوْلَوِيّةُ وأمّا التَّحريمُ الذي يدعونه فلَيسَ في هذا الحَدِيثِ.

[٢١٦] س: هل هناك فرق بين التوسل والاستغاثة؟

ج: لا فَرقَ بينَ التَّوسُّلِ والاسْتِغاثَةِ، فالتَّوسُّلُ يُسَمَّى استِغاثةً كمَا جاءَ في حَديثِ البُخاريّ أنَّ

النبيَّ ﷺ قالَ: «**إنَّ الشَّمسَ تَدْنُو يَومَ القِيامةِ حَتّى يَبْلُغَ العَرَقُ نِصْفَ الأُذُنِ فبَيْنَما هُمْ كذَلكَ اسْتَغاثُوا بآدَمَ ثُمَّ مُوسَى ثُمَّ بمُحمَّدٍ ﷺ**» الحديث في روايةِ عبدِ الله بن عمرَ لحديثِ الشفاعَةِ يوم القيامَةِ، وفي روايةِ أنسٍ رُوِيَ بلفظِ الاستِشفَاعِ وكلتَا الروايتينِ في الصحيحِ فَدَلَّ ذلك على أن الاستشفاعَ والاستغَاثَةَ بمعنًى واحدٍ فسَمَّى الرّسُولُ ﷺ هذا الطَّلَبَ مِنْ ءادَمَ أَن يَشْفَعَ لَهُم إلى رَبّهِمُ اسْتِغَاثةً.

ثم الرسولُ سمَّى المَطَر مُغيثًا.

فقد رَوَى أبو داودَ وغيرُهُ بالإسنادِ الصَّحيحِ أنَّ الرسولَ قال: «**اللهمَّ اسقِنا غَيْثًا مُغِيثًا مَريعًا نافِعًا غيرَ ضارّ عاجِلاً غيرَ ءاجِلٍ**»، فالرسولُ سَمَّى المَطَرَ مُغيثًا لأنّه يُنْقِذُ مِن الشّدّةِ بإذنِ الله، كذلكَ النبيُّ والوَليُّ يُنقِذان مِنَ الشّدَّةِ بإذنِ الله تَعالى.

[٢١٧] س: ما الدليلُ على جوازِ التبركِ بالنبيّ وءاثاره؟

ج: اعْلَم أنَّ الصّحابةَ رضوانُ الله عليهم كانوا

يتبَرَّكونَ بآثار النَّبي ﷺ في حياتِه وبعدَ مَماتِه ولا زالَ المسلمونَ بعدَهُم إلى يومِنا هذا على ذلكَ، وجوازُ هذا الأمرِ يُعرَفُ مِن فِعلِ النبيّ ﷺ وذلكَ أنّه ﷺ قَسَمَ شَعرَهُ حينَ حَلَقَ في حَجَّةِ الودَاعِ وأظفارَهُ.

أمّا اقتسَامُ الشَّعر فأخرجَهُ البخاريُّ ومسلِمٌ من حديثِ أنَسٍ، ففي لفظِ مسلم أنهُ قال لمَّا رَمَى ﷺ الجمْرَةَ ونَحرَ نُسُكَهُ وحلَقَ ناولَ الحالِقَ شِقَّهُ الأيمنَ فحلَقَ ثمَّ دَعَا أبا طلحةَ الأنصاريَّ فأعطاهُ ثمَّ ناولَهُ الشِّقَّ الأيْسَرَ فقال: «احْلِق»، فحلَقَ فأعطاهُ أبا طلحةَ فقالَ: «اقسِمْهُ بينَ النَّاسِ». ففيهِ التبرُّكُ بآثارِ الرسولِ، فقد قَسمَ ﷺ شعرَهُ ليتَبرَّكُوا به وليسْتَشفِعُوا إلى الله بما هو منهُ ويتقرَّبوا بذلكَ إليهِ، قسمَ بينَهُم ليكونَ برَكةً باقيةً بينَهُم وتَذْكِرَةً لهم. ثم تَبعَ الصَّحابةَ في خُطَّتِهم في التبرّكِ بآثارِهِ ﷺ من أَسْعَدَهُ الله وتوارَدَ ذلكَ الخَلَفُ عن السَّلَفِ.

[٢١٨] س: اذكر حديث اقتسام الصحابة لأظفار النبي ﷺ.

ج: أمَّا اقتِسامُ الأظْفارِ فأخرجَ الإمامُ أحمدُ في

مُسْنَدِه أنَّ النَّبي ﷺ قلَّمَ أظفَارَهُ وقسَمَها بينَ النّاس، ومعلومٌ أنَّ ذلكَ لم يكن ليأكُلَها الناسُ بل ليتبرَّكُوا بها.

[٢١٩] س: اذكرْ حديثَ تبرّكِ الصحابةِ بجُبّة النبي ﷺ.

ج: أمّا جُبَّتُه ﷺ فقد أخْرَجَ مسلمٌ في الصّحيح عن مَوْلَى أسْماءَ بنتِ أبي بكرٍ قال: «أخرجَتْ إلينا جُبَّةً طيالِسَةً كِسْروانيّة لها لَبِنَةُ دِيْبَاج وفَرجَيها مكفُوفَين، وقالت: هذهِ جُبَّةُ رسولِ الله ﷺ كانت عندَ عائشةَ، فلمّا قُبِضَتْ قَبضتُها وكانَ النبيُّ ﷺ يلبَسُهَا فنحنُ نغسِلُها للمرضَى نَستَشْفِي بها»، وفي روايةٍ: «نغسِلُها للمريض مِنّا».

[٢٢٠] س: اذكر الدليلَ على تبرّكِ الصحابةِ بموضعِ كفّ النبي ﷺ.

ج: عن حنظلَةَ بنِ حذيم قالَ: «وفَدْتُ معَ جَدّي حذيم إلى رسولِ الله ﷺ، فقالَ: يا رسولَ الله إنَّ لي بنينَ ذوي لِحًى وغيرَهُم وهذا أصغرُهم فأدْناني رسولُ الله ﷺ ومَسَحَ رأسي، وقال: **باركَ الله فيكَ**، قال الذَّيَّالُ: فلَقد رأيتُ حَنظلَةَ يُؤتَى بالرَّجلِ

الوَارِمِ وجهُهُ أو الشاةِ الوارمِ ضَرعُها، فيقولُ: بسمِ الله على مَوضعِ كفّ رسولِ الله ﷺ فيمسَحُه فيذهبُ الورَمُ»، رواهُ الطبرانيُّ في الأوسطِ والكبيرِ بنحوِه، وأحمدُ في حديثٍ طويلٍ ورجالُ أحمدَ ثقاتٌ.

وعن ثابتٍ قالَ: «كنتُ إذا أتيتُ أنَسًا يُخبَرُ بمَكاني فأَدخلُ عليه فآخذُ بيدَيه فأقبِلُهما وأقولُ: بأبي هاتانِ اليَدانِ اللّتانِ مسَّتا رسولَ الله ﷺ وأُقَبّلُ عَينيه وأقولُ بأبي هاتانِ العَيْنانِ اللّتانِ رأتا رسولَ الله ﷺ». رواه أبو يَعْلَى ورجالُه رجالُ الصّحيح غيرُ عبد الله بن أبي بكر المَقدِميّ وهو ثقةٌ.

[٢٢١] س: اذكر الدليلَ على تبرّكِ الصحابةِ بقبرِ النبيّ ﷺ.

ج: عن داودَ بنِ أبي صالحٍ قالَ: أقْبَلَ مَروانُ[١] يومًا فوَجَد رَجُلًا واضِعًا وجْهَه على القبرِ فقالَ: أتَدْرِي ما تَصْنَعُ، فأقْبَلَ عليهِ فإذَا هو أبو أيّوب فقال: نعم جئتُ رسولَ الله ﷺ ولم ءاتِ الحَجر،

(١) يعني مروان بن الحَكَم.

سمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: **لا تَبْكُوا على الدِّيْنِ إذا ولِيَهُ أَهْلُهُ ولكن ابكُوا عليهِ إذا ولِيَهُ غيرُ أَهْلِه**(١)، رواه أحمدُ والطبرانيُّ في الكبيرِ والأوسطِ.

[٢٢٢] س: اذكر حادثةَ تبركِ خالدِ بنِ الوليدِ بشعرِ النبيّ ﷺ.

ج: روى البيهقيُّ في دلائلِ النُّبوةِ والحاكمُ في مُستَدْرَكِهِ وغيرُهما بالإسنادِ أن خالدَ بنَ الوليدِ فَقَدَ قَلَنْسُوَةً له يومَ اليَرْمُوكِ فقالَ: اطلبُوها، فَلَم يجِدُوها، ثمَّ طلبُوها فوجَدُوها، فقال خالدٌ: اعتمَر رسولُ الله ﷺ فحلَقَ رأسَهُ فابتَدَرَ الناسُ جوانِبَ شَعَرِهِ فسَبَقْتُهُم إلى نَاصيتِهِ فجعَلْتُها في هذهِ القلَنسُوَةِ فلَمْ أشهدْ قِتالا وهي معي إلا رُزِقتُ النَّصْرَ.

وهذه القصةُ صحيحةٌ، قَالَ البُوصِيرِي رَوَاهُ أبو يَعْلَى بِسَنَدٍ صَحِيحٍ وَقَالَ الهَيْثَمِيُّ رَوَاهُ الطَّبْرَانيُّ وأبو يعلى بِنَحْوِهِ وَرِجَالُهُما رِجَالُ الصَّحِيحِ.

فلا التفاتَ بعدَ هذا إلى دَعوَى مُنكِرِي التوسلِ والتبركِ بآثارِهِ الشريفةِ ﷺ.

---

(١) معناه أنتَ يا مروان، لستَ أهْلًا لِتوَلّي الأمر.

مَبْحَثُ الاجتِهَادِ

ويتضمن ثمانية أسئلة

[٢٢٣] س: ما هُوَ الاجتهاد؟

ج: الاجتهادُ هو استِخراجُ الأحكامِ التي لم يَرِدْ فيها نصٌّ صريحٌ لا يحتمِلُ إلا معنًى واحدًا.

[٢٢٤] س: ما هي شروطُ المجتهد؟

ج: يشترط في المجتهد الذي له أهلية استخراج الأحكام أن يكونَ حافظًا لآياتِ الأحكامِ وأحاديثِ الأحكامِ ومعرفَةِ أسانيدِهَا ومعرفَةِ أحوالِ رجالِ الإسنادِ ومعرفَةِ النَّاسِخِ والمَنسوخِ والعَامّ والخَاصّ والمُطلَقِ والمُقَيَّدِ، ومعَ إتْقانِ اللُّغَةِ العربيّةِ بحَيثُ إنّه يَحفَظُ مَدْلُولاتِ ألفاظِ النُّصوصِ على حسَب اللُّغَةِ التي نزَل بها القرءانُ، ومعرفةِ ما أجْمَعَ عليهِ المجتهدونَ وما اختَلَفُوا فيهِ لأنّهُ إذا لم يَعْلَمْ ذلكَ لا يُؤمَنُ عليهِ أن يَخْرِقَ الإجماعَ أي إجْماعَ مَن كانَ قبلَهُ.

ويُشْتَرَطُ فوقَ ذلكَ شرطٌ وهو ركنٌ عظيمٌ في الاجتهادِ وهو فِقْهُ النَّفْسِ أي قُوّةُ الفَهْمِ والإدراكِ.

وتشترَط العدالةُ وهي السلامَةُ من الكبائِرِ ومن المداومَةِ على الصَّغائِرِ بحيثُ تَغْلِبُ على حسَناتِهِ من حيثُ العَدَدُ.

وأمّا المقلّدُ فهو الذي لم يَصِلْ إلى هذهِ المَرتبَةِ.

[٢٢٥] س: ما الدليلُ على أن المسلمينَ ليسوا كُلُّهُمْ مجتهدين؟

ج: الدَّليلُ على أن المسلمينَ على هاتين المَرتَبتَينِ قولُه ﷺ: «**نضَّرَ الله امرأً سَمِعَ مقالَتِي فَوَعَاهَا فأدَّاهَا كما سمِعَها، فرُبَّ مُبلِّغٍ لا فِقْهَ عندَهُ**». رواهُ التّرمذيُّ وابنُ حِبَّانَ.

الشَّاهِدُ في الحديثِ قولُه: «**فَرُبَّ مُبَلِّغٍ لا فِقْه عندَهُ**»، وفي روايةٍ: «**ورُبَّ مُبلَّغ أوْعَى من سَامِعٍ**»، فإنَّه يُفهِمنا أنَّ ممن يَسمعونَ الحديثَ منَ الرسولِ مَن حظه أن يرويَ ما سمعَهُ لغيرهِ وَيَكُون هُوَ فَهْمهُ أقلَ مِنْ فَهْم مَنْ يبلغه بحيثُ إنَّ مَنْ يبلغه هَذَا السَّامِع يَسْتَطيع من قُوَّةِ قَرِيحَتِهِ أن يَسْتَخْرِجَ مِنْهُ أَحْكَامًا وَمَسَائِل - وَيُسَمَّى هذا الاستنباط - والذي سَمِعَ لَيْسَ عندَهُ هذهِ القَرِيحَةِ القَوِيَّة إنَّما يفهم المَعْنَى الذي هُوَ قَريبٌ مِنَ اللَّفْظِ. مِنْ هُنَا يعلم أنَّ بعضَ الصحابةِ يكون أقل فهمًا ممن يسمع منهم حديث رسول الله. وفي لفظٍ لهذا

الحديثِ: **«فرُبَّ حاملِ فِقْهٍ إلى من هوَ أفقَهُ منهُ»**، وهاتانِ الرّوايتانِ في التّرمذي وابنِ حبَّان.

[٢٢٦] س: ما معنى حديثِ «إذا اجتهدَ الحاكمُ فأصابَ فله أجران. . .» إلى ءاخره؟

ج: المجتهدُ هو مَوْرِدُ قولِه ﷺ: **«إذَا اجتَهدَ الحاكمُ فأصابَ فلَهُ أجْرانِ وإذا اجتهدَ فأخطأَ فله أجرٌ»** رواهُ البخاريُّ، وإنّما خَصَّ رسُولُ الله في هذا الحديثِ الحاكمَ بالذّكْرِ لأنَّهُ أحْوجُ إلى الاجتهادِ من غَيرِهِ فقد مضَى مُجتهدونَ في السّلَفِ مع كونِهم حاكمينَ كالخلفاءِ الستَّةِ أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليّ والحسَنِ بنِ عليّ وعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ وشُرَيْحٍ القَاضي.

[٢٢٧] س: كمْ عَدَدُ المفتينَ في الصحابة؟

ج: عَدَّ عُلَمَاءُ الحَديثِ الذين ألَّفُوا في كتُبِ مُصطَلحِ الحديثِ المُفْتِينَ في الصَّحابةِ أقَلَّ مِن عشَرةٍ قِيلَ: نحو سِتّةٍ، وقالَ بعضُ العلماءِ: نحو مائتينِ منهم بَلَغَ رُتْبَةَ الاجتهادِ، وهذا القولُ هو الأصَحُّ. فإذا كانَ الأمرُ في الصَّحابَةِ هكذا فمِن

أينَ يصحُّ لِكُلِّ مسلم يستطيعُ أن يقرأَ القرءانَ ويطالعَ في بعضِ الكتبِ أن يقولَ أولئكَ رجالٌ ونحنُ رجالٌ فليسَ علينا أن نقلّدَهُم.

[٢٢٨] س: ما الدليلُ على أن أكثرَ السلفِ مقلّدينَ وليسوا مجتهدين؟

ج: ثبتَ أنّ أكْثرَ السَّلَفِ كانوا غير مجتهدينَ بلْ كانوا مُقلِّدِينَ للمجتهدينَ فيهم، ففي صحيحِ البُخاريّ أن رجلًا كان أجِيرًا لرجُلٍ فزنى بامرأَتِه فسألَ أبوه فقيلَ له: إنَّ على ابنِكَ مائة شاةٍ وأَمَة، ثمّ سألَ أهلَ العِلْم فقالوا له: إنّ على ابنِك جَلْدَ مائةٍ وتغريبَ عامٍ، فَجاءَ إلى الرسولِ ﷺ مع زوجِ المرأةِ فقالَ: يا رسولَ الله إنّ ابني هذا كان عَسِيفًا - أي أجِيْرًا - على هذا وزَنَى بامرأَتِهِ فقالَ لي ناسٌ: على ابنكَ الرجمُ ففديتُ ابني منهُ بمائةٍ مِنَ الغنمِ ووليدةٍ، ثم سألتُ أهلَ العِلم فقالوا: إنما على ابنك جلدُ مائة وتغريبُ عامٍ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: **«لأقضِيَنَّ بينكُمَا بكتابِ الله، أمَّا الولِيْدَةُ والغَنَمُ فرَدٌّ عليهِ، وعلى ابْنِكَ جَلْدُ مائةٍ**

وتغريبُ عام»[1].

فهذا الرجلُ معَ كونِهِ مِنَ الصَّحابةِ سألَ أناسًا مِنَ الصَّحابةِ فأخطأوا الصوابَ ثم سأَلَ علماءَ منهم ثمّ أفْتَاهُ الرسولُ بما يوافِقُ ما قالَهُ أولئكَ العلماءُ، فإذا كانَ الرسولُ أفهَمنا أنّ بعضَ مَنْ كانوا يسمعونَ منه الحديثَ ليس لهم فِقْهٌ أي مَقْدِرَةٌ على استخراجِ الأحكامِ مِن حديثِهِ وإنما حَظُّهُمْ أن يَرْوُوا عنهُ ما سمِعُوهُ معَ كونِهِم يفهَمُونَ اللغةَ العربيّةَ الفُصْحَى فما بالُ هَؤلاءِ الغوْغاءِ الذين يتجرَّءونَ على قولِ: «أولئك رجالٌ ونحن رجالٌ»، أولئكَ رجالٌ يعنونَ المجتهدينَ كالأئِمَّةِ الأربعَةِ.

[٢٢٩] س: اذكر دليلًا ءاخر في هذا المعنى وأن الاجتهاد لا يصح من مطلق المسلمين.

ج: في هذا المعنَى ما أخرَجَهُ أبو داودَ مِنْ قِصّةِ الرّجلِ الذي كانت برأسِهِ شَجَّةٌ فأجْنَبَ في ليلةٍ باردَةٍ فاستَفْتَى من معَهُ فقالُوا له: اغتَسِل، فاغتَسَلَ فماتَ فأُخبِرَ رسولُ الله ﷺ فقالَ: «**قتلُوهُ قتلَهُمُ الله، ألا سَأَلُوا إذْ لم يعلموا، فإنّما شِفاءُ**

(١) أي يُخرج من بلَده إلى مسافة القَصْر لمدة سنة.

العِيِّ السُّؤالُ» أي شِفَاءُ الجَهلِ السؤالُ أي سؤال أهل العلمِ، وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إنما كانَ يكفيهِ أن يتيممَ ويعصب على جُرحِهِ خرقةً ثم يمسحُ عليها ويَغسِلُ سائرَ جسدِهِ»** الحديثُ رواهُ أبو داودَ وغيرُه، فإنّه لو كانَ الاجتهادُ يصِحُّ مِنْ مُطلَقِ المسلمينَ لَما ذمَّ رسولُ الله هؤلاءِ الذينَ أفْتَوهُ ولَيْسُوا من أهلِ الفَتْوَى.

[٢٣٠] س: مَن الذي له أَنْ يَقِيس في المسائل؟

ج: وظيفةُ المجتهدِ التي هي خاصّةٌ لهُ القياسُ، أي أن يعتَبِرَ ما لَم يَرِدْ به نصٌّ بما وردَ فيهِ نصٌّ لشَبَهٍ بينَهُما.

فالحذرَ الحذرَ مِنَ الذينَ يحثّونَ أتباعَهُمْ على الاجتهادِ مَعَ كونِهِمْ وكونِ متبوعِيهِمْ بعيدينَ عَنْ هذِهِ الرتبةِ فهؤلاء يُخَرّبُونَ ويَدعونَ أَتباعَهُم إلى التخريبِ في أُمورِ الدّين. وشَبيهٌ بهؤلاءِ أُنَاسٌ تَعَوَّدُوا في مجالِسِهِمْ أن يُوَزّعوا على الحَاضِرينَ تفسيرَ ءايةٍ أو حديثٍ مَعَ أنهُ لم يسبق لَهُمْ تلقٍّ مُعْتَبَرٌ مِن أفواهِ العلماء. فهؤلاء المدعونَ شَذُّوا عَنْ علماءِ الأصولِ لأن علماءَ الأصولِ قالوا: «القياسُ وظيفةُ المجتهدِ» وخالفوا علماءَ الحديثِ أيضًا.

خاتمةٌ

في بيانِ مَنْ هو المسلمُ المؤمنُ

ويتضمن ثلاثة أسئلة

[٢٣١] س: مَن هو المسلمُ المؤمنُ؟

ج: خُلاصَةُ ما مَضَى مِنَ الأبْحاثِ أنّ مَن عَرَفَ الله ورسولَهُ ونطَقَ بالشَّهادَةِ ولو مرّةً في العمُرِ ورضِيَ بذلك اعتقادًا فهوَ مسلمٌ مؤمنٌ.

ومَن عَرفَ ونطَقَ ولم يعتقدْ فليسَ بمسلمٍ ولا بمؤمنٍ عندَ الله، وأمّا عندنا فهو مسلمٌ لخَفاءِ باطِنه علينا، وإن كان يتظاهرُ بالإسلامِ ويكرَهُ الإسلامَ باطنًا أو يترَدَّدُ في قلبِهِ هل الإسلامُ صحيحٌ أم لا فهو منافقٌ كافرٌ وهو داخلٌ في قولِ الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٤٥﴾﴾ [سورة النساء]، فهو والكافرُ المُعْلِنُ خالِدانِ في النَّارِ خلودًا أبدِيًّا.

وقولُ البَعْضِ: يصِحُّ إيمانُ الكافِرِ بلا نُطقٍ مع التَّمكُّنِ قولٌ باطِلٌ.

[٢٣٢] س: ما حكمُ المسلمِ العاصي؟

ج: مَن صحَّ له أصلُ الإيمانِ والإسلامِ ولَو لَمْ يَقُم بأداءِ الفرائضِ العَمَليّةِ كالصَّلواتِ الخمسِ وصيامِ رمضانَ ولم يجتنب المحرَّماتِ إلى أنْ

ماتَ وهو على هذه الحالِ قبلَ أن يتوبَ فقدْ نَجا مِنَ الخلودِ الأبدي في النَّارِ، ثمَّ قسمٌ منهمْ يُسامِحُهُم الله ويُدخِلهُم الجنةَ بلا عذابٍ وقِسمٌ منهُمْ يعذّبُهم ثمّ يُخرِجُهُم ويدخِلُهُم الجنّةَ، والله أعْلَمُ بمَن يسامِحُهُ ومَن لا يسامِحُهُ.

وأمّا مَن ماتَ بعدَ أن تابَ فأدَّى جميعَ ما افترضَ الله عليهِ واجتنبَ المُحرَّماتِ فهو كأنّهُ لم يُذْنِبْ لقولِه ﷺ: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كمَن لا ذنْبَ لهُ**» حديثٌ صحيحٌ رواهُ ابنُ ماجَه عن ابنِ مَسعُودٍ.

وفي صحيح البُخاريّ أنّ رجلًا قالَ: يا رسولَ الله أُسْلِمُ أو أقاتلُ؟ قال: «**أسلِمْ ثمّ قَاتِل**»، فأسْلَمَ فقاتَلَ فقُتِلَ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**عَمِلَ قليلًا وأُجِرَ كثيرًا**»، أي لأنّه نالَ الشّهادةَ بعدَ أن هدَمَ الإسْلامُ كلَّ ذنبٍ قدَّمَهُ فالفَضْلُ للإسلامِ، لأنّه لو لم يُسْلِم لم يَنْفَعْهُ أيُّ عمَلٍ يَعْمَلُهُ. وهذا الرجلُ كان التحقَ بالمجاهدينَ من أجلِ أن قومَه الذين هم مسلمون خرجوا من غيرِ أن يسلمَ ثم ألهمَهُ الله أن يَسألَ الرسولَ فسألَ فأرشدَهُ الرسولُ إلى أن يُسلِمَ ثم يُقاتل.

[٢٣٣] س: ما هي النصيحةُ التي ينبغي العملُ بها لتقليلِ الكلام؟

ج: ليُفَكّر العاقلُ في قولِ الله تعالى ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ١٨﴾ [سورة ق].

فإنَّ مَن فَكَّرَ في ذلكَ علِمَ أنَّ كلَّ ما يتكلَّمُ به في الجِدّ أو الهَزْلِ أو في حالِ الرّضَى أو الغَضَبِ يسَجّلُهُ المَلكانِ، فهَلْ يَسُرُّ العاقلَ أن يَرى في كتابِه حينَ يُعْرَضُ عليه في القيامةِ هذِه الكلماتِ الخبيثةَ؟ بل يسُوؤُه ذلكَ ويُحزِنُه حينَ لا ينفَعُ النَّدمُ، فلْيَعْتَنِ بحِفْظِ لسانِه مِنَ الكلامِ بما يَسُوؤُه إذا عُرِضَ عليه في الآخرةِ.

قال رسولُ الله ﷺ: «**خَصلَتانِ ما إنْ تجَمَّلَ الخلائِقُ بمِثْلِهما حُسْنُ الخلُقِ وطولُ الصَّمْتِ**»، رواهُ عبدُ الله بنُ محمّدٍ أبو بكرِ بن أبي الدُّنيا القُرَشيُّ في كتابِ الصَّمْتِ.

انتهى الكتاب

وسبحان الله، والحمدُ لله رب العالمينَ،
وصلى الله على سيدنا محمدٍ الأمين،
وءاله وأصحابه الطيبين.

الفهرس